الصَّبرُ في الدَّعْوةِ إلى اللهِ

بقلم الرئيس العام

الشيخ محمد صفوت نور الدين

إن واجب الدعوة إلى الله تعالى هو الواجب العام الذي يشمل أفراد الأمة جميعًا . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فكل مسلم مأمور بالدعوة إلى الله تعالى ؛ لأنه من أتباع النبي ﷺ ، والآية الكريمة تبين سبيل النبي ﷺ وهو الدعوة على بصيرة ، ويقول : ﴿ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، ونحن أتباعه ، فالدعوة واجبة علينا .

والدعوة هي التي تنقل الأمة إلى الخيرية ، يقول تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النابع من الإيمان بالله هو دعوتنا .

هذه الدعوة لها سلاحان هامان هما : العلم والصبر فهما شرطا صحتها وفاعليتها ، أما شرط قبولها عند الله فهو الإخلاص لله سبحانه ، فالدعوة لا بد لها من العلم لقوله تعالى : ﴿ أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فالبصيرة : هي العلم ، وهي الحكمة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وهي الحق في قوله : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] .

وحديثنا الآن حول الصبر في الدعوة إلى الله سبحانه .

فالله سبحانه وتعالى ينادي المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فهو سبحانه يأمر بالصبر ، بل

أن نفوق عدونا صبرًا فنصبر أكثر من صبرهم ؛ فإن الفوز والنصر للصابرين ، فهو سبحانه يقول : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

والله يأمر نبيه بالصبر مع من يدعوهم فيقول سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وليكن صبرنا في الدعوة هو السلاح الواقي : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، ولنعلم أن أجر الصابرين عظيم : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦] ، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وتاريخ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم خير مثال يوضح الصبر العملي . يثبتون على حجتهم مهما خالف القوم ، فهذا نوح يدعو قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا لا يمل من دعوتهم ولم يَدْعُ عليهم ، ولم ينحرف نحوهم رغم كثرة عدد الكافرين ورغم أن زوجه وولده كانوا من الكافرين . فلما أعلمه ربه : ﴿ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ ﴾ [هود : ٣٦] ، دعا عليهم فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦ ، ٢٧] ، وصبر على استهزائهم بدعوته .

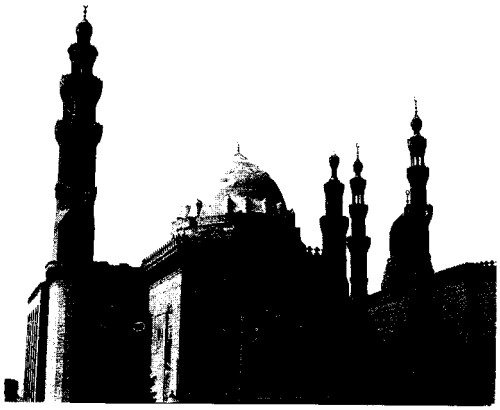

وكذلك صبر إبراهيم عليه السلام في قومه وكانت الحجة منطقه الذي يدعوهم به فحاجَّ ملكهم الذي ادعى أنه إله من دون الله فبهت الذي كفر . وحاجَّ عباد الكواكب فغلبهم وحاجَّ عباد الأوثان بالحجة العملية فأقروا أنهم الظالمون ، لكن لما غلبهم بالحجة قالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٦٨] ، فالعبد الضعيف ينصر إلهه ، ضعف الطالب والمطلوب . لكن الله جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم .

وكذلك صبر إسماعيل على الذبح ففداه الله بذبح عظيم . وصبر يعقوب على كيد ولده وفراق يوسف فأظفره الله . وصبر يوسف على ترك الشهوة الحرام لما دعته ذات المنصب والجمال فقال : معاذ الله . وصبر على السجن مظلومًا . بل لما خير بين الفحشاء والسجن قال : رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه . وكان عاقبة صبره رفعة في الدنيا وملكه ، ولأجر الآخرة أكبر .

وكذلك صبر أيوب وصبر داود وصبر موسى صبرًا عظيمًا على فرعون ، بل وعلى بني إسرائيل يدعوهم فيتفلتون . وصبر عيسى عليه السلام حتى أراد قومه صلبه لما لم يستطيعوا مجاراته فأنجاه الله منهم ورفعه إليه : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وكان صبر نبينا الخاتم محمد ﷺ أعظم الصبر وعاقبته خير عاقبة وجعل ذكره باقيًا حيث جعل الله معجزة كل نبي تنتهي قبل موته ، فلم يبق إلا أكبر معجزة لمحمد ﷺ وهي التي أبقت في القلوب الإيمان بالأنبياء وبمعجزاتهم وبنزاهتهم وصدقهم وصبرهم في دعوتهم لأممهم .

والله سبحانه جعل في كل أمة رسولًا . فلما ختم الرسالات جعل الدعاة إلى الله هم الذين يخلفون الرسل في هذه الدعوة فيقومون بها فلا بد أن يتخذوا من الصبر والعلم والإخلاص عدة لهم حتى يؤيدهم الله بقوته .

والله سبحانه قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

فمنهج الإسلام منهج كامل لا يحتاج إلى إضافة أو حذف أو تغيير ؛ لأن الله أكمله وأتمه ورضيه . من أجل ذلك كانت الدعوة إلى الله بالقرآن والسنة كما فهمها خير القرون الذين زكاهم الله وزكاهم نبيه ﷺ هو المنهج الصواب الذي يجب علينا أن نصبر على تعلمه ، وأن نعلمه الأهل والأقارب ، وأن نصبر على تعليمه للناس .

ولقد كان رسول الله ﷺ الصابر الأول ، إمام الصابرين في كل أمر .

منهج الإسلام منهج كامل لا يحتاج إلى إضافة أو حذف أو تغيير لأن الله أكمله ، وأتمه ، ورضيه . من أجل ذلك كانت الدعوة إلى الله بالقرآن والسنة كما فهمها خير القرون الذين زكاهم الله وزكاهم نبيه ﷺ هو المنهج الصواب الذي ينبغي علينا أن نصبر على تعلمه وأن نعلمه الأهل والأقارب .

وجاءه الوحي يعلمه الصبر من أول نزوله حيث جاءه الملك في الغار يقول له : (اقرأ . قال : « ما أنا بقارئ » . قال : « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد » ، ثم قال لي : « اقرأ ») . فمع التكليف ضمه ضمة قوية لتعلم الصبر .

● **فلما** أمره : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، كان أول كافر به عمه أبو لهب فصبر .

● **فلما** جاءه قومه يعرضون عليه العروض للتخلي عن الدعوة قال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أدع هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما فعلت » ، فصبر على الدعوة .

قال شيخنا : ضعيف ، ولكن صحَّ نحوه بلفظ لا أستحضره .

● **فلما** آذاه قومه بالسباب والهجر وسائر صنوف الأذى صبر ، فلم يَدْعُ عليهم ، بل دعا لهم بالهداية .

● **فلما** أخرجوه صبر في الهجرة .

● **فلما** قاتلوه صبر لقتالهم .

● **وأخذ** يصبر في دعوة الناس ، فيقبل من جاهلهم ، ويعفو عن مسيئهم ويرشد ضالهم ويحلم على من يسفه عليه .

● **ولقد** سار سلف الأُمة من الصحابة ومن بعدهم على منهج النبي ﷺ في الدعوة والصبر . فصابروا في طلب العلم والعمل به والدعوة إليه ، فنشر الله بهم الإسلام حتى ملأ آسيا وأفريقية ، ودخل أوربا ، فنحن بعض ثمارهم .

● **فالمسلم** في حاجة إلى الصبر لتحصيل العلم وطلبه . فيصبر مع القرآن والسنة حفظًا وفهمًا . ويصبر على لزوم الصحيح من الأفهام ، فلا تغره شبهات أهل الضلال ، ولا تنحرف بهم سبل الشيطان ، فتفرقهم عن سبيل المؤمنين ، ثم يصبر المسلم على العمل بذلك العلم فتكون القلوب معتقدة الحق والجوارح عابدة لربها مقتدية بالنبي ﷺ والسلوك موافقًا لذلك العلم في النفس والمال . وكل أمر لله فيه مقال .

ثم يصبر المسلم على ترك المعاصي رغم توفر دواعيها في النفس والمجتمع من حوله ، ثم يصبر على دعوة الناس لذلك العلم متحملًا صعاب الدعوة صابرًا مع المتعلمين ، يرفق بهم ، ويحسن إليهم .

كان صبر نبينا محمد ﷺ أعظم الصبر ، وعاقبته خير عاقبة . وجعل ذكره باقيًا حيث جعل الله معجزة كل نبي تنتهي قبل موته . فلم يبق إلا أكبر معجزة لمحمد ﷺ في القلوب الإيمان بالأنبياء وبمعجزاتهم ونزاهتهم وصدقهم وصبرهم في دعوتهم لأممهم .

صبر المسلم في بلاد الكفر

١ - **صبر** الثبات على الإيمان اعتقادًا وعملًا .

٢ - **صبره** على تعليم أهله وتثبيتهم على الحق .

٣ - **صبره** في مواجهة الدعوات الضالة التي تشتت على الناس دينهم .

٤ - **صبره** على العصاة حتى يلتزموا الطاعة ، ويتركوا المعصية .

٥ - **صبره** على أن يكون ممتثلًا الإسلام في نفسه ، فلا يراه الناس على محرم ، ولا يهجر طاعة ، ولو دعته لذلك حاجة ولكن يصابر ذلك .

٦ - **صبره** على إحسان صلته بربه في سره وعلنه .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كلمة التحرير

بَيْنَ السُّحُورِ وَالفُطُور

بقلم
رئيس التحرير

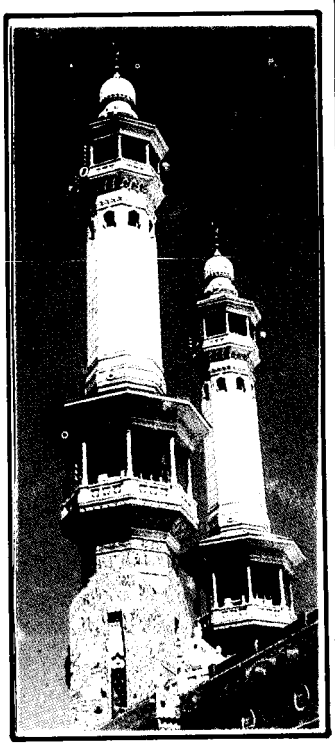

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد ، فقد أظلنا شهر رمضان من جديد ، وأشرقت أنواره ، وحلّت بركاته ، وكثرت حسناته ، وقلّت سيئاته .

والناس فيه منهم من هو سابق بالخيرات تارك للمحرمات ، مقيم على الطاعات ؛ يبكي ذنوبًا قد فعلها ، وسيئات قد اقترفها وهؤلاء هم الذين حبب الله إليهم الإيمان ، وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان .

ومن الناس سفهاء وجهال يستثقلون رمضان ، وكثير منهم لا يصلي إلا في رمضان ، ولا يجتنب كبائر الذنوب إلا في رمضان ، وهو يعد الأيام والليالي حتى يعود إلى معاصيه ! فهم مصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ، وفيهم من لا يصبر على المعاصي ؛ فيظل مقيمًا عليها في رمضان ؛ وقد ذكر ابن رجب – رحمه الله – أن رجلًا كان مصرًّا على شرب الخمر فعاد إلى بيته في آخر يوم من شعبان وهو سكران ! فعاتبته أمُّه ، وهي توقد التنور (الفرن) فحملها فألقاها في التنور فاحترقت !!!

أما أهل الإيمان والطاعة ، أهل السنة والجماعة فلهم شأن آخر .

إن أبواب الطاعات في رمضان كثيرة متنوعة ، وكلها أبواب إلى الجنة . ففي رمضان يكون الصوم وقراءة القرآن والعمرة التي تعدل حجة ! والجود والعطاء وتفطير الصائم ، وتعجيل الفطر ، وتأخير السحور ؛ وصلاة التراويح ، وليلة القدر ، والاعتكاف ، وفتح أبواب الجنان ، وإغلاق أبواب النيران ،

وتصفيد الشياطين ، والمغفرة في آخر الشهر ، وغير ذلك من أبواب الخير وصنوف البر ، وأنواع الطاعات والقربات .

والمؤمن الحق يرى أن رمضان فرصة قد لا تتكرر ، وشهر قد لا يعود فكم من صائم عامًا مضى قد أصبح اليوم أثرًا بعد عين ! وفي كل يوم يشيع الناس غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فخلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب !

ومن بين نصوص السنة الصحيحة التي تتحدث عن رمضان جاءت نصوص تتعلق بالفطر والسحور ، فأردنا أن ننبِّه على بعضها طمعًا في إدراك أجرها ممن عنده حسن الثواب .

* **تفطير الصائم** : روى الترمذي بسنده أن النبي ﷺ قال : « من فطَّر صائمًا ، كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء » .

ويفهم من هذا الحديث أن تفطير الصائم طاعة من أعظم الطاعات ، وقربة من أجلِّ القربات .

وننبه هنا على فائدتين :

الأولى : في قوله : « من فطر صائمًا » ، وصف يصدق على من قدم إلى الصائم طعامًا أو شرابًا يفطر عليه ، وبعض الناس يدعو صائمًا أو أكثر إلى مائدته ، فيأتي الصائمون إلى المسجد فيفطرون على تمر المسجد ويشربون من مَائِه ثم يذهبون بعد الصلاة إلى بيت من دعاهم وهم مفطرون مصلون ! فيكون هذا الداعي قد عشَّى مفطرًا ، ولم يفطِّر صائمًا !!

الثانية : في قوله : « كان له مثل أجره » ، ومعلوم أن أجور الصائمين متفاوتة ، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش . فهل يقال : إن هذا الحديث فيه ترغيب وحث على اختيار الصائم المؤمن التقي لمن أراد أن يفطر صائمًا طمعًا في زيادة الأجر ! للنظر في ذلك مجال ، والله أعلم .

* **تعجيل الفطر** : روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » .

وتعجيله يتحقق بأمرين : الأول : المبادرة إلى الفطر إذا تحقق غروب الشمس ، والثاني : تقديمه على الصلاة .

المؤمن الحق يرى أن رمضان فرصة قد لا تتكرر، وشهر قد لا يعود ، فكم من صائم عامًا مضى قد أصبح اليوم أثرًا بعد عين ! وفي كل يوم يشيع الناس غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فخلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب !

من الناس سفهاء وجهال يستثقلون رمضان، وكثير منهم لا يصلي إلا في رمضان، ولا يجتنب كبائر الذنوب إلا في رمضان، وهو يعد الأيام والليالي حتى يعود إلى معاصيه! وفيهم من لا يصبر على المعاصي، فيظل مقيمًا عليها في رمضان، أما أهل الإيمان والطاعة فلهم شأن آخر.

ويبحث الناس عن الخير الموعود به في هذا الحديث : « لا يزال الناس بخير » ، فيقال لهم : هذا الخير يتحقق بأمور منها :

مخالفة أهل الكتاب كما جاء في رواية أبي داود وابن خزيمة : « لأن اليهود والنصارى يؤخرون » أي : الفطر .

مخالفة بعض طوائف الشيعة الذين يؤخرون الفطر إلى ظهور النجوم .

الرفق بالصائم وتقويته على العبادة بتعجيل فطره .

وهذه وغيرها أبواب خير فتحها الله لمن يعجل الفطر .

* **بركة السحور** : روى البخاري ومسلم بسنديهما أن رسول الله ﷺ قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » .

من المعلوم أن السحور ما يؤكل وقت السحر ؛ فهو طعام وشراب ، ومع هذا فقد خصته النصوص بفضل ليس لغيره من الأطعمة والأشربة ! فأمرت به ، ونبهت على أنه بركة !! ولقد نبه أهل العلم على هذه البركات .

فذكروا منها :

امتثال الأمر الشرعي واتباع السُّنَّة ، وهذا يوجب الأجر والثواب .

ومخالفة أهل الكتاب ؛ فإنهم لا يتسحرون : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه مسلم .

والدعاء والاستغفار وقت مظنة الإجابة : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] .

وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل النوم .

وصلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل بسبب الاستيقاظ ، ولذا تجد المصلين في المساجد فجر أيام رمضان أكثر منهم في غيره !

ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع !!

والتَّقوي على العبادة والزيادة في النشاط .

وأخيرًا : الصدقة على السائل في ذلك الوقت[1] !!

* **مدفع الإمساك** ؟!! قال ابن حجر – رحمه الله – : (من البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان – أي زمانه – من إيقاع الأذان الثاني قبل

الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان ، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعمًا ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة . ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرَّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا !! فأخرُّوا الفطر ، وعجلوا السحور ، وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير ، وكثر فيهم الشر ، والله المستعان) . اهـ من « فتح الباري » (٤/٢٣٥) .

ومن يتدبر هذا الكلام يجد أن الحافظ – رحمه الله – قد نبه على أن مخالفة السنة سبب لقلة الخير ونزع البركة ! وكثرة الشر والمعصية والفساد . وكأنه يعيش في زماننا ويشاهد حالنا .

ولما اختُرعت المدافع في القرن الرابع عشر الميلادي – كما في دائرة معارف القرن العشرين – تغير شكل البدعة وبقي أصلها ! وأصبحت علامة الإمساك إطلاق مدفع الإمساك بعد أن كانت في الماضي إطفاء المصابيح . وكلاهما علامة باطلة .

وإنما علامة الإمساك المشروعة طلوع الفجر الصادق ، وهو الوقت الذي يُرفع فيه الأذان لأجل صلاة الفجر .

وبعد : فالحديث عن رمضان حديث شيق ، وكله خير ، وبركة . وفوائد ، وعوائد ، وأجر ، وثواب ، وجودٌ ، وعطاء .

فنسأل الله بمنه وفضله وكرمه أن يتقبل منا صلاتنا وصيامنا ودعاءنا . وسائر أعمالنا الصالحات ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه

صفوت الشوادفي

---

(١) راجع « فتح الباري » ج٤ ص١٦٦ كتاب الصوم – باب بركة السحور .

أبواب الطاعات في رمضان كثيرة ومتنوعة، وكلها أبواب إلى الجنة ففي رمضان يكون الصوم وقراءة القرآن والعمرة التي تعدل حجة! والجود والعطاء وتفطير الصائم، وتعجيل الفطر، وتأخير السحور، وصلاة التراويح، وليلة القدر، والاعتكاف، وفتح أبواب الجنان، وإغلاق أبواب النيران، وتصفيد الشياطين، والمغفرة في آخر الشهر، وغير ذلك من أبواب الخير وصنوف البر، وأنواع الطاعات.

آيات الصيام

فضيلة الشيخ / عبد العظيم بدوي

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .... ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، الآيات إلى ١٨٧ .

هذه هي آيات الصيام ، لم تُذكر في القرآن الكريم كله إلَّا في هذا الموضع . وقد استفتحت بالترغيب في هذه الفريضة قبل بيان أحكامها ، واستخدمت في الترغيب أكثر من أسلوب : من ذلك : البدء بهذا النداء الحبيب : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] يا من صدقتم بالله ورسوله ، والكتاب الذي نُزِّل على رسوله ، يا من رضيتم بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا ، ولا شك في أن هذا النداء الحبيب يفتح القلوب قبل الآذان ، ويحرك في النفس الرغبة والتشوف إلى معرفة ما بعد النداء ، فإنه كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إذا سمعت الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ، فأرعه سمعك ، فإنه إما خير يأمر به ، أو شرٌّ ينهى عنه .

ومن ذلك : أن هذه الفريضة لم تفرض على المخاطبين وحدهم ، وإنما فرضت على من قبلهم ، مما يوجب التنافس والتسابق في أداء هذه الفريضة ، ليكون المخاطبون أكثر من سابقيهم حظًّا في الاستجابة والطاعة والامتثال ، فيكونوا أكثر أجرًا وأعظم ثوابًا ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

ومن ذلك : ذكر الحكمة العظمى من مشروعية هذه الفريضة ، وهي : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وهم يعلمون أن التقوى هي سبب الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ؛ لأنهم يقرءون : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤] . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] . ويعلمون أن التقوى هي سبب النجاة من النار ، كما أنها سبب دخول الجنة ؛ لأنهم يقرءون : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ

وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ ، ٧٢] ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ٦٣] ، فمن ثم تهون عليهم هذه الفريضة ، بل ويجدون فيها راحة نفوسهم ، ولذة قلوبهم .

ومن ذلك : أن هذه الفريضة : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، من : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فلا تضر الصائم بكثرة الجوع والعطش ، ولا تحرمه ما أباح الله له من الطيبات ، وإنما هي : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] يتخلص فيها من ضرر فضول الطعام والشراب والوقاع ، فيصح جسمه ، ويعتدل مزاجه ، ويقهر نفسه ، ويملك زمامها . وبهذا يتضح أن الله تعالى لم يرد بهذه الفريضة أن يشق على عباده ولا أن يعذبهم ، وإنما : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ودليل ذلك أنه سبحانه لم يجعل هذه الفريضة ضرورة حتمية من أول مرة ، وإنما بعد هذا الترغيب خيَّرهم في الصيام والفدية ، وأعلمهم أن الصيام خير من الفدية ، فقال سبحانه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ

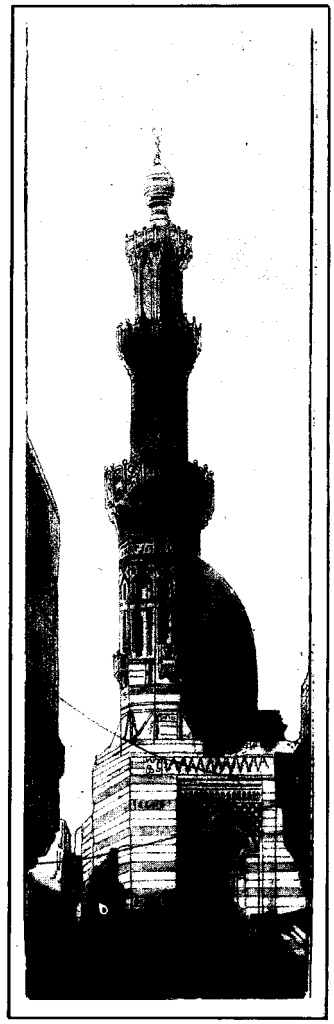

مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم . حتى إذا ألفته النفوس ، وتعودت عليه أوجب الله عليهم الصيام فقال : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

واستثنى الله تعالى من هذا الإيجاب المسافر والمريض ومن في حكمه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، وهكذا أطلق ربنا سبحانه السفر كما أطلق المرض ، فالمريض أيًّا كان مرضه له حقُّ الترخص بالفطر ، والمسافر مهما كان سفره له حقُّ الترخص كذلك ، وأيهما أفضل : الفطر أم الصيام ؟ إن لم يجد المريض والمسافر مشقة بالصوم فالصوم أفضل ، وإن وجدا مشقة فالفطر أفضل :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان ، فمنا الصائم ، ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام ، فإن ذلك حسن ، ويرون أن من وجد ضعفًا فأفطر ، فإن ذلك حسن . رواه مسلم والترمذي .

أما الشيخ الكبير والعجوز ، والمريض مرضًا مزمنًا ، فإن لهم الفطر وعليهم الفدية : عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ هذه الآية : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، فقال ابن عباس : (ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير ،

والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكينًا) . رواه البخاري .

وكذلك الحبلى والمرضع إذا لم تطيقا الصوم أو خافتا على أولادهما فلهما الفطر وعليهما الفدية ، ولا قضاء عليهما : عن ابن عباس قال : (إذا خافت الحامل على نفسها ، والمرضع على ولدها في رمضان يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينًا ، ولا يقضيان صومًا) ، رواه الطبري بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم . وعن نافع قال : (كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش ، وكانت حاملًا ، فأصابها عطش في رمضان ، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينًا) ، رواه الدارقطني بإسنادٍ صحيح .

وكانوا في أول الأمر إذا صلى أحدهم العشاء أو نام قبلها حرم عليهم ما يحرم على الصائم ، ولو استيقظ قبل الفجر ، فعلم الله منهم ضعفًا فخفف عنهم ، وجعل الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فـ « إذا أقبل الليل من هٰهنا ، وأدبر النهار من هٰهنا ، وغربت الشمس ، فقد أفطر الصائم » . متفق عليه . وأحل له ما كان حرم عليه حتى طلوع الفجر الثاني .

قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلآنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

فإذا دخل العشر الأخير من رمضان استحب الاعتكاف للمسلم ، للتفرغ للعبادة وطلبًا لليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، واقتداء برسول الله ﷺ وامتثالًا لأمره ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ، ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري .

ولا يكون الاعتكاف إلَّا في مسجد ، ولا تصلح فيه معاشرة النساء ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

فإذا تمت عدة رمضان ، وفرح الناس بفطرهم ، وجب عليهم ذكر ربهم ، وشكره على هدايتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

عن الزهري : (أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى ، وحتى يقضي الصلاة ، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير) ، رواه ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح مرسلًا ، وقد روي من وجه آخر عن ابن عمر مرفوعًا ، أخرجه البيهقي .

ويستحب لمن أراد الخروج لصلاة العيد أن يفطر قبل الخروج ، فعن أنس قال : (كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات) ، رواه البخاري .

كما أن الأفضل إخراج صدقة الفطر عند الخروج إلى الصلاة – ولا تكون إلَّا طعامًا – لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤ ، ١٥] . فقد قيل : إنها نزلت في صدقة الفطر وصلاة العيد .

نسأل الله تعالى أن يتقبل صيامنا وقيامنا ، وأن يختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

والحمد لله رب العالمين .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عن عائشة[1] رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي[2] قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر؟ (وكان كثير الصيام) قال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » والحديث رواه الجماعة من رواية عائشة تحكي عن حمزة رضي الله عنهما ، بينما جاء الحديث في مسلم وغيره برواية حمزة يحدث عن نفسه ، فالحديث في مسند عائشة وفي مسند حمزة أيضًا .

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين ، وأمها أم رومان ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غيرها ، وهي أعلم النساء قاطبة ، وأحب الزوجات إلى رسول الله ﷺ ، واختلف العلماء في أيهما أفضل هي أم خديجة رضي الله عنها ؟ كانت أفقة الناس . وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع الناس لكان علم عائشة أفضل ، وقد ولدت في الإسلام ، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين توفيت سنة سبع وخمسين للهجرة ، ولا يتسع الهامش للتعريف بها .

(٢) حمزة بن عمرو الأسلمي : صحابي جليل كان يسرد الصوم . وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصديق يوم أجنادين . وهو الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه ، فأعطاه ثوبيه ، شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد . وقد روى البخاري في « التاريخ » بإسناد جيد عنه أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت لي أصابعي حتى جمعت عليها كل متاع للقوم ، وتوفي رضي الله عنه سنة إحدى وستين ، وعمره إحدى وسبعين عامًا .

لما كان السفر غالبًا فيه المشقة خفف رب العزة سبحانه بعض التكليفات ؛ من ذلك رخصة الفطر في نهار رمضان ، وهي مستحبة لقوله ﷺ : « ليس من البر الصيام في السفر » ، وهذه الرخصة لا تقتصر على من نالته المشقة في السفر فحسب ، بل هي له ولمن لم يشق عليه السفر . ورخصة الفطر في السفر ثابتة بقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الفطر للمسافر جائز باتفاق المسلمين (ثم قال) : ومن قال : إن الفطر لا يجوز إلَّا لمن عجز عن الصيام فإنه يستتاب ، وكذلك من أنكر على المفطر (ثم قال) : ومن قال : إن المفطر عليه إثم فإنه يستتاب من ذلك ، فإن هذه الأحوال خلاف كتاب الله ، وخلاف سنة رسول الله ﷺ ، وخلاف إجماع الأمة (انتهى بتصرف يسير من « مجموع الفتاوى » (جـ ٢٥ ص ٢٠٩) وما بعدها) .

وقد أجمع العلماء على الفطر في سفر الطاعة ، كالحج والجهاد ، وصلة الرحم ، وطلب المعاش ، ورجحوا الفطر في سفر التجارات والمباحات ، أما سفر المعصية فاختلفوا في جواز الفطر فيه ، وقال القرطبي : المنع أرجح ، وقال الشيخ صالح بن حميد في « رفع الحرج » : إن الفقهاء – رحمهم الله – نبهوا إلى حكم الأخذ برخص السفر وتخفيفاته في سفر المعصية ، فلو سافر إنسان لقطع الطريق أو لقتل نفس بغير حق أو لإرهاب المسلمين والتمرد عليهم أو من أجل لهو محرم ، فهل له أن يترخص أو يأخذ بأحكام السفر من قصر للصلاة المفروضة وفطره في رمضان ، ونحو ذلك ؟. ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه لابد في السفر أن يكون مباحًا .

لما كان السفر غالبًا فيه المشقة خفف رب العزة سبحانه بعض التكليفات ، من ذلك رخصة الفطر في نهار رمضان ، وهذه الرخصة لا تقتصر على من نالته مشقة السفر فحسب . بل هي له ولمن لم يشق عليه السفر .

فليس لمن سافر سفر معصية أن يقصر الرباعية أو أن يفطر في رمضان أو يمسح أكثر من يوم وليلة ، ونحو ذلك من أحكام السفر . قالوا : لأن الرخص لا يجوز أن تتعلق بالمعاصي ، وفي جواز الترخص إعانة على المعصية ، وإذا أراد أن يأخذ بأحكام السفر – نظرًا لشدة المشقة اللاحقة به – فليتب ثم يترخص . غير أنهم فرقوا بين من سافر سفر معصية أو سافر سفرًا مباحًا لكنه أتى فيه بمعصية ، كما لو شرب في السفر المباح خمرًا . وقد عبروا عن الأول بأنه معصية بالسفر . أما الثاني فهو معصية في السفر ، فنفس السفر ليس معصية ولا إثمًا ، فتباح الرخص ؛ لأنها منوطة بالسفر وهو في نفسه مباح (انتهى) .

وهذا القول يجعل العاصية لزوجها بالسفر أو العاق لوالديه بالسفر أو المسافر ليقيم في بلاد الكفر لغير غرض مشروع ، وكل من كان عاص بسفره أن يتذكر لعله أن يتوب ويرجع .

وقال القرطبي : اتفق العلماء على أن المسافر في رمضان لا يجوز له أن يبيت الفطر ؛ لأن المسافر لا يكون مسافرًا بالنية بخلاف المقيم (انتهى) ، فيفطر المسافر إن شاء في يومه الذي سافر فيه أو يصوم ، ويمكنه أن يفطر في داره قبل الخروج ، فإن طرأ له طارئ منعه من السفر فليس عليه إلا قضاء اليوم . وقال الحسن البصري : يفطر إن شاء في بيته يوم يريد أن يخرج .

واختلف العلماء في الأفضل منها الفطر أو الصوم في السفر ، وذلك للحديث المتفق عليه عن أنس قال : سافرنا مع النبي ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم . وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله قالا : سافرنا مع رسول الله ﷺ فيصوم الصائم ويفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض . أما قول النبي ﷺ : « ليس من البر الصوم في السفر » ، فلا يحتج به على منع الصوم في السفر لأمور منها :

أولًا : أن النبي ﷺ قال ذلك لما رأى زحامًا ورجلًا قد ظلل عليه فقال : « ما هذا ؟ » ، قالوا : صائم ! فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » .

ثانيًا : حديث (الصائم في السفر كالمفطر في الحضر) : أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر ، وهو ضعيف لا يحتج به .

ثالثًا : أخرج مسلم في « صحيحه » من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام قال : فنزلنا منزلًا فقال رسول الله ﷺ : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » ، فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلًا آخر فقال : « إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » ، وكانت

اتفق العلماء على أن المسافر في رمضان لا يجوز له أن يبيت الفطر ؛ لأن المسافر لا يكون مسافرًا بالنية بخلاف المقيم ، فيفطر المسافر إن شاء في يومه الذي سافر فيه أو يصوم ، ويمكنه أن يفطر في داره قبل الخروج ، فإن طرأ له طارئ منعه من السفر فليس عليه إلا قضاء اليوم .

عزمة فأفطرنا . (ثم قال) : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ بعد ذلك في السفر .

رابعًا : حديث أبي الدرداء في « الصحيحين » قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله ابن رواحة .

لكن ننبه إلى أن هذا الحديث لا يصلح ناسخًا للنهي عن الصوم ؛ لأن حديث أبي الدرداء سابق على حديث : « ليس من البر الصوم في السفر » ؛ لأن عبد الله بن رواحة مات - رضي الله عنه - في غزوة مؤتة ، والحديث الذي ورد بالنهي (حديث أبي الدرداء) في غزوة الفتح وكلاهما في عام واحد لكن مؤتة قبل الفتح . ولا يحمل الحديث على غزوة بدر ، لأن أبا الدرداء لم يكن حينئذٍ قد أسلم .

خامسًا : قال الشافعي - رحمه الله - نفي البر

المذكور في الحديث محمول على من أبى قبول الرخصة . وقد جاء في رواية النسائي : « ليس من البر أن تصوموا في السفر ، وعليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوا » ، (والحديث رواه النسائي عن جابر – رضي الله عنه – ، وقال الألباني : صحيح) .

قال ابن حجر : فالحاصل أن الصوم لمن قوي عليه أفضل من الفطر ، والفطر لمن شق عليه الصوم ، أو أعرض عن قبول الرخصة أفضل من الصوم ، وإن لم تتحقق المشقة يخير بين الصوم والفطر (انتهى) .

غزوة الفتح وصوم رمضان

قد غزا رسول الله ﷺ بدرًا ، والفتح في رمضان ، ورجع من تبوك في رمضان ، وكانت غزوة الفتح في رمضان من العام الثامن للهجرة حيث خرج رسول الله ﷺ من المدينة في رمضان ، فمضى صائمًا ، والناس معه صيام ، حتى بلغ عسفان قيل له : يا رسول الله إن الصوم قد شق على الناس ، وهم ينظرون إليك ، فركب رسول الله ﷺ راحلته ، ثم أتي بقدح من لبن (أو ماء) فشرب فأفطر الناس ، ثم نزل بعد ذلك بهم منزلًا ، فقال : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم » ، فعلم الناس أنها رخصة ، أي : أن الصوم قوة ، والفطر أقوى ، ثم نزل منزلًا آخر ، وقد اقتربوا من العدو ، فقال لهم : « إنكم مصبحون بعدو والفطر أقوى لكم فأفطروا » ، فلما سمعوا ذلك علموا أنه إلزام فأفطروا ، وذلك لأنهم جمعوا بين السفر والجهاد . لذلك فإنه لما سمع بعد ذلك ببعض من لا يزالون صائمين .

ليس لمن سافر سفر المعصية أن يقصر الرباعية أو أن يفطر في رمضان ، أو يمسح أكثر من يوم وليلة ، لأن الرخص لا يجوز أن تتعلق بالمعاصي ، وفي جواز الترخص إعانة على المعصية وإذا أراد أن يأخذ بأحكام السفر فليتب ثم ليترخص .

قال : « أولئك العصاة ... أولئك العصاة » . فلما رأى رجلًا يظلون عليه قال : « ما بال هذا ؟ » ، قالوا : صائم ، فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » . يعلم بهذا أمور :

منها : أن أحكام الصوم ككثير من أحكام الشريعة علمه رسول الله ﷺ لأصحابه في الغزوات ، فليتدبر ذلك ، فالجهاد لا يمنع من تعلم شرع الله ودينه ، وهذا باب هام لو تدبره الناس لعرفوا أن العلم لا يقدم عليه شيء ، بل هو المقدم على كل شيء .

ومنها : أن المسلم إنما يجاهد بالإيمان ، وأن النصر ينزله الله على المؤمنين ، أما العدة والعتاد والخطط فهي أسباب نأخذ بها مع الحرص على العبادة والدعاء والإخلاص فيها ، فينصر الله بذلك ويجعل الأسباب ناجعة .

ومنها : أن السفر وإن كان مبيحًا للفطر وحده ، إلا أن الجهاد قد يجعل الفطر متعينًا ؛ لأنه قوة .

ومنها : فهم الصحابة الكرام والعلماء للرخص والعزائم من الألفاظ الشرعية ، فلما قال ﷺ : « الفطر أقوى لكم » ، علموا أنها على سبيل التخيير ، ولما أمرهم (فأفطروا) علموا أنها الإلزام الواجب .

ومنها : أن من صام حيث نهى النبي ﷺ فقد عصى حيث الجهاد والسفر ، وأنهم مصبحون بعدو فليستعدوا .

ومنها : أن المسافر إذا نوى الصيام ، ثم بدا له أن يفطر فله أن يفطر في أي وقت من يومه ، أخذًا بالرخصة واقتداء بالنبي ﷺ .

التفضيل بين الصوم والفطر في السفر

حاصل كلام أهل العلم التخيير بين الصوم والفطر في السفر فرضًا ونفلًا ، وإنما تكون العوارض المصاحبة هي التي تفيد ترجيحًا ، فإن شق الصوم أو كان معرضًا عن الرخصة أو احتاج لخدمة غيره أو اشتهر بعمله فخاف الرياء أو كان في جهاد أو اقتدى به الضعيف الذي لا يطيق كان الفطر في حقه أفضل . أما إن كان الصوم عليه يسيرًا ، ويشق عليه القضاء بعد ، كان الصوم في حقه أفضل لقول الله – عز وجل – : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ولما رواه أبو داود عن حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال : يا رسول الله إني صاحب ظهر أعالجه أسافر عليه وأكريه ، وأنه ربما صادفني هذا الشهر – يعني : رمضان – وأنا أجد القوة وأجدني أن أصوم أهون عليَّ من أن أؤخر فيكون دينًا عليَّ . فقال : « أي ذلك شئت يا حمزة » ، والحديث وإن ضعفه الألباني إلا أنه يستأنس به ، لأن الدليل هو الآية الكريمة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، والله أعلم .

وكتبه
محمد صفوت نور الدين

قيام رمضان وصلاة التراويح

١ – **قال** رسول الله ﷺ : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه » . [متفق عليه]

٢ – **كان** النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة : منها الوتر ، وركعتا الفجر . [رواه البخاري]

٣ – **ما** كان النبي ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة . [متفق عليه]

٤ – **وقال** ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه » . [متفق عليه]

٥ – **وقال** ﷺ : « تحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر في رمضان » . [رواه البخاري]

٦ – **كان** الرسول ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجدَّ ، وشد المئزر . [متفق عليه]

(**شد** المئزر : كناية عن الاجتهاد في العبادة) .

٧ – **عن** عائشة قالت : قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : «قولي : اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني » . [صحيح رواه الترمذي]

فضل صوم رمضان وقيامه

سماحة الشيخ : عبد العزيز بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين ، وفقني الله وإياهم لاغتنام الخيرات ، وجعلني وإياهم من المسارعين إلى الأعمال الصالحات آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

أيها المسلمون فإنكم في شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن شهر العتق والغفران شهر الصدقات والإحسان شهر تفتح فيه أبواب الجنات ، وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات وترفع الدرجات وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ويجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام فصامه المصطفى - ﷺ - وأمر الناس بصيامه وأخبر - عليه الصلاة والسلام - أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم ، فعظموه - رحمكم الله - بالنية الصالحة والاجتهاد في حفظ صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات ، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب والسيئات واجتهدوا في التناصح بينكم والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة منها : تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم : أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ويذكره بعظيم نعم الله عليه ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ،

● الصيام يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء .

● الصيام يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة . اعترف بذلك الكثير من الأطباء ، وعالجوا به كثير من الأمراض .

● كثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرًا ، وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة .

● احذروا رحمكم الله كل ما يجرح الصوم وينقص الأجر ويغضب الرب - عز وجل - من سائر المعاصي ، كالربا والزنا والسرقة وأكل أموال اليتامى .

والتقوى : هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه .

فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى وقربة إلى المولى عز وجل ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا ، وقد أشار النبي - ﷺ - إلى بعض فوائد الصوم في قوله - ﷺ - : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

فبين النبي - عليه الصلاة والسلام - أن الصوم وجاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ، ويذكره بالله وعظمته فيضعف سلطان الشيطان ويقوى سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين وتقل به المعاصي .

ومن فوائد الصوم أيضًا : أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة . اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيرًا من الأمراض ، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز أنه كتب علينا الصيام كما كتبه على من قبلنا ، وأوضح سبحانه أن المفروض علينا هو صيام شهر رمضان ، وأخبر نبينا - عليه الصلاة والسلام - أن صيامه هو أحد أركان الإسلام الخمسة ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤] إلى أن قال عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وفي « الصحيحين » عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « بني الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » .

أيها المسلمون إن الصوم عمل صالح عظيم وثوابه جزيل ولا سيما صوم رمضان فإنه الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي - ﷺ - قال : « يقول الله تعالى : كل عمل ابن آم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » .

للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وفي « الصحيح » عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين » .

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » ، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرًا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله » رواه الطبراني .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله فرض عليكم صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه النسائي .

وليس في قيام رمضان حد محدود ، لأن النبي - ﷺ - لم يوقت لأمته في ذلك شيئًا وإنما حثهم على قيام رمضان ولم يحدد ذلك بركعات معدودة ، ولما سئل - عليه الصلاة والسلام - عن قيام الليل قال : « مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » أخرجه البخاري ومسلم في « الصحيحين » فدل ذلك على التوسعة في هذا الأمر ، فمن أحب أن يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث فلا بأس ، ومن أحب أن يصلي عشر ركعات ويوتر بثلاث فلا بأس ، ومن أحب أن يصلي ثمان ركعات ويوتر بثلاث فلا بأس ، ومن زاد على ذلك أو نقص عنه فلا حرج عليه .

والأفضل ما كان النبي - ﷺ - يفعله غالبًا : وهو أن يقوم بثمان ركعات يسلم من كل ركعتين ويوتر بثلاث مع الخشوع والطمأنينة وترتيل القراءة لما ثبت في « الصحيحين » عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما كان رسول الله - ﷺ - يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثًا ، وفي « الصحيحين » عنها - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - كان يصلي من الليل عشر ركعات يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة .

وثبت عنه - ﷺ - في أحاديث أخرى أنه كان يتهجد في بعض الليالي بأقل من ذلك وثبت عنه أيضًا - ﷺ - أنه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة يسلم من كل اثنتين ؛ فدلت هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله - ﷺ - على أن الأمر في صلاة الليل موسع فيه بحمد الله ، وليس فيها حد محدود لا يجوز غيره ، وهو من فضل الله ورحمته وتيسيره على عباده حتى يفعل كل مسلم ما يستطيع من ذلك ، وهذا يعم رمضان وغيره .

وينبغي أن يعلم أن المشروع للمسلم في قيام رمضان وفي سائر الصلوات هو الإقبال على صلاته والخشوع فيها والطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة ، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والقالب والخشوع فيها ، وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب . كما قال الله

سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] .

وقال النبي - ﷺ - : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، وقال للذي أساء في صلاته : « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقرًا ، وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، لأن الطمأنينة ركن في الصلاة لا بد منه كما دل عليه الحديث المذكور آنفًا ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه - ﷺ - أنه قال : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته » قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها » وثبت عنه - ﷺ - أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وأدوها كما شرع الله واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادات والقربات وسارعوا فيه إلى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات ، فأكثروا فيه - رحمكم الله - من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم بالتدبر والتعقل والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام .

وقد كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فاقتدوا به - رحمكم الله - في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام فقد صح عن النبي - ﷺ - أنه قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » وقال - عليه الصلاة والسلام - : « الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن امرؤ سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم » .

وجاء عنه - ﷺ - أنه قال : « ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث » وخرج ابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه كفر ما قبله » .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما -:(إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء) ومن أهم الأمور التي يجب على المسلم العناية بها والمحافظة عليه في رمضان وفي غيره الصلوات الخمس في أوقاتها ؛ فإنها عمود الإسلام وأعظم الفرائض بعد الشهادتين ، وقد عظم الله شأنها وأكثر من ذكرها في كتابه العظيم فقال تعالى : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور : ٥٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقال النبي - ﷺ - : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ، وصح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال : « من حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف » .

ومن أهم واجباتها في حق الرجل أداؤها في الجماعة كما جاء في الحديث عن النبي - ﷺ - أنه قال : « من سمع النداء فلم يات فلا صلاة له إلا من عذر » وجاءه - ﷺ - رجل أعمى فقال : (يا رسول الله إني رجل شاسع الدار عن المسجد وليس

لي قائد يلائمني فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي) ، فقال له النبي - ﷺ - : « هل تسمع النداء بالصلاة » ، قال : نعم ، قال : « فأجب » - أخرجه مسلم - في « صحيحه » .

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق . فاتقوا الله عباد الله في صلاتكم وحافظوا عليها في الجماعة وتواصوا بذلك في رمضان وغيره تفوزوا بالمغفرة ومضاعفة الأجر وتسلموا من غضب الله وعقابه ومشابهة أعدائه من المنافقين .

وأهم الأمور بعد الصلاة ، الزكاة فهي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله - عز وجل - وفي سنة رسول الله - ﷺ - فعظموها كما عظمها الله وسارعوا إلى إخراجها وقت وجوبها وصرفها إلى مستحقيها عن إخلاص لله - عز وجل - وطيب نفس وشكر للمنعم سبحانه ، واعلموا أنها زكاة وطهرة لكم ولأموالكم وشكر للذي أنعم عليكم بالمال ومواساة لإخوانكم الفقراء كما قال الله - عز وجل - : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] ، وقال سبحانه : ﴿ آعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ آلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

وقال النبي - ﷺ - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - لما بعثه لليمن : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » متفق على صحته .

وينبغي للمسلم في هذا الشهر الكريم التوسع في النفقة والعناية بالفقراء والمتعففين وإعانتهم على الصيام والقيام تأسيًا برسول الله - ﷺ - وطلبًا لمرضاة الله سبحانه وشكرًا له على إنعامه ، وقد وعد الله سبحانه عباده المتقين بالأجر العظيم والخلف الجزيل فقال سبحانه : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ آللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ آلرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

واحذروا رحمكم الله كل ما يجرح الصوم وينقص الأجر ويغضب الرب - عز وجل - من سائر المعاصي ، كالربا والزنا والسرقة وقتل النفس بغير حق وأكل أموال اليتامى وأنواع الظلم في النفس والمال والعرض والغش في المعاملات والخيانة للأمانات وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والشحناء والتهاجر في غير حق الله سبحانه وشرب المسكرات وأنواع المخدرات كالقات والدخان والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والدعاوى الباطلة والأيمان الكاذبة وحلق اللحى وتقصيرها وإطالة الشوارب والتكبر وإسبال الملابس واستماع الأغاني وآلات الملاهي وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ولكنها في رمضان أشد تحريمًا وأعظم أثمًا لفضل الزمان وحرمته ، فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة .

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامْ

للصيام عدة فضائل منها :

١ - أن الصيام جنة من النار : كما روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الصوم جنة يستجن بها العبد من النار » ، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا » ، فإذا كان صوم يوم واحدٍ يباعد وجه الصائم عن النار سبعين عامًا ، فما بالك بصوم شهر رمضان كله ، أو صوم ثلاثة أيام من كل شهر نافلة ، أو غير ذلك من أنواع الصيام المشروع - والله إنه لفضل عظيم .

٢ - والصوم جنة من الشهوات : فقد جاء في حديث ابن مسعود المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وِجَاء » فأرشد عليه الصلاة والسلام الشاب الذي لا يستطيع الزواج أن يستعين بالصوم على إطفاء أجيج الشهوة ؛ لأن الصوم يجأ الشهوة ويقطعها .

وإن كثيرًا من الشباب اليوم يشتكون من الشهوة التي يثيرها ما شاع في هذا العصر ، بخاصة من نساء يتبرجن في الأسواق ، ومجلات هابطة في المكتبات ، والمحلات التموينية ، وغير ذلك من الفتن التي تلاحق الشباب في الطائرة وفي الشارع وفي المستشفى وغيره .

والشاب مجبول على ما ركب الله تعالى فيه من الشهوة الغريزية التي تتحرك عند وجود ما يثيرها ، وبخاصة إذا اجتمع مع ذلك ضعف الوازع الديني .

فإلى هؤلاء الشباب نهدي هذه النصيحة النبوية : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء » .

ولقد ثبت بالتجربة جدوى هذا الطب النبوي ، الذي يمثل دواء ناجعًا لما يكابده الشباب من الشبق ، ويغني عن غيره من الأدوية المادية .

٣ - أن الصوم سبيل إلى الجنة : فقد روى النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به ، قال : « عليك بالصيام ؛ فإنه لا مثل له » ، فبين عليه الصلاة والسلام أنه لا شيء يقرب العبد من الله ، ويبعده من عذابه كالصيام ، بل أخبر المصطفى ﷺ أن بالجنة بابًا خاصًا بالصائمين .

كما في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة بابًا يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » ، ونلاحظ أن اسم هذا الباب يتناسب مع صفة الصائم الذي يصيبه العطش من أثر الصيام .

٤ - أن الصيام يشفع لصاحبه : فقد روى الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن عبد الله بن عمرو

ابن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان » .

٥ - أن الصوم كفارة ومغفرة للذنوب :

فإن الحسنات تكفر السيئات ، والصوم فيه من الحسنات الشيء الكثير ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤] وفي تكفير الصوم للذنوب وردت أحاديث كثيرة ، منها حديث حذيفة الذي رواه الستة أن النبي ﷺ قال : « فتنة الرجل في أهله وماله وجاره ، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة » .

وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ؛ غفر له ما تقدم من ذنبه » أي : إيمانًا بالله عز وجل واحتسابًا للأجر الذي أعده الله تبارك وتعالى للصائمين .

٦ - أن الصوم سبب في السعادة في الدارين :

كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

أما فرحته عند فطره فهي نموذج للسعادة واللذة التي يجدها المؤمن في الدنيا ، بسبب طاعته وتقواه لمولاه عز وجل ، وهي السعادة الحقيقية .

وفرحته عند فطره تأتي من جهتين : الأولى : أن الله تعالى أباح له الأكل والشرب في تلك اللحظة ، والنفس بلا شك مجبولة على حب الأكل والشرب ، ولذلك تعبَّدنا الله - تبارك وتعالى - بالإمساك عنهما .

الثانية : سرورًا بما وفقه الله إليه من إتمام صيام ذلك اليوم وإكمال تلك العبادة وهذا أسمى وأعلى من فرحه من جهة إباحة الطعام له .

٧ - أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك :

وخلوف فمه هي الرائحة التي تنبعث من المعدة عند خلوها من الطعام عن طريق الفم ، وهي رائحة مكروهة عند الخلق ، لكنها محبوبة عند الخالق .

قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه : « والذي نفس محمدٍ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وفي هذا دليل على أنه لا بأس من أن يستاك الصائم بعد الزوال ، بل هو أمر مستحب على القول الراجح الصحيح في المواضع التي يستحب فيها السواك في كل حال : عند الصلاة ، وعند الوضوء ، وعند دخول المنزل ، وعند الاستيقاظ من النوم ، إلى غير ذلك من المواضع ؛ لأن هذا الخلوف أولًا : ليس من الفم ولكنه من المعدة ، وثانيًا : أطيب يوم القيامة عند الله تعالى من ريح المسك .

فهذه بعض فضائل الصوم أيها المسلمون ، فانتبهوا واغتنموا هذه الفرصة العظيمة ، وهذه المسابقة الطيبة ، فكونوا من الرابحين ، ولا تكونوا من الخاسرين في هذا الشهر العظيم .

أقبلوا على كتاب الله ، وعلى الصلاة ، وأحيوا ليله ، وتنبهوا لما فيه من الخير العظيم : من ليلة القدر ، وصدقة الفطر ، والاعتكاف .

ونسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

المراقب العام للجماعة

ومدير إدارة العلاقات العامة

أبو العطا عبد القادر محمود

نتائج فتح مكة

د. الوصيف علي حزة
رئيس فرع الجمالية ومدير إدارة الشباب بالمركز العام

لم يكن فتح مكة كغيرها من الغزوات قتال وسفك دماء كبدر وأحد ، ولكنها كانت غزوة مسالمة ، ووفاء ، ومحافظة على أواصر القربى ، وصلة الأرحام ، في مقولة الرسول ﷺ لجمهرة قريش : « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ » ، قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وإنما كان غرض الرسول ﷺ كسر شوكة العدو بإلقاء الرعب في قلوب المشركين ، وإظهارهم بمظهر الضعف ، واستسلامهم أمام جيش الإسلام الزاحف ، وكتائب الإيمان المظفرة .

وقد اصطلح علماء الإسلام على تسمية هذا الفتح بالفتح الأعظم تميزًا له عن صلح الحديبية الذي سماه الله فتحًا ، قال البخاري من حديث البراء بن عازب : (تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر قال : فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد عليَّ قال : فقلت في نفسي : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألححت (كررت) على رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليك ! قال : فركبت راحلتي فحركت بعيري فتقدمت مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء قال : فإذا أنا بمنادٍ : يا عمر قال : فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء قال : فقال النبي ﷺ : « نزل عليَّ البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١ ، ٢] » رواه البخاري وغيره .

قال الحافظ ابن كثير (ج٤ ١٨٢) « تفسير » : (أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم ، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة) اهـ .

ولذلك سمي فتح مكة الفتح الأعظم ، ويمكن تسميته فتح الفتوح لاعتبارات كثيرة ، ونتائج باهرة ترتبت على هذا الفتح الميمون .

١ - إرساء قواعد العدل والعفو وأحكام مكة

وقد خطب الرسول ﷺ خطبة الفتح أرسى فيها هذه الدعائم التي تحتاجها البشرية اللاهثة وراء حضارة زائفة .

يقول ابن إسحاق : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ وقف على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شرك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية

الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها .

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

« **يا معشر** قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم قال ﷺ : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومفتاح الكعبة في يده ﷺ فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة » فُدعي له فقال ﷺ : « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء » .

وقد رواه البخاري بأخصر من هذا .

وأقول أين هذه المبادئ

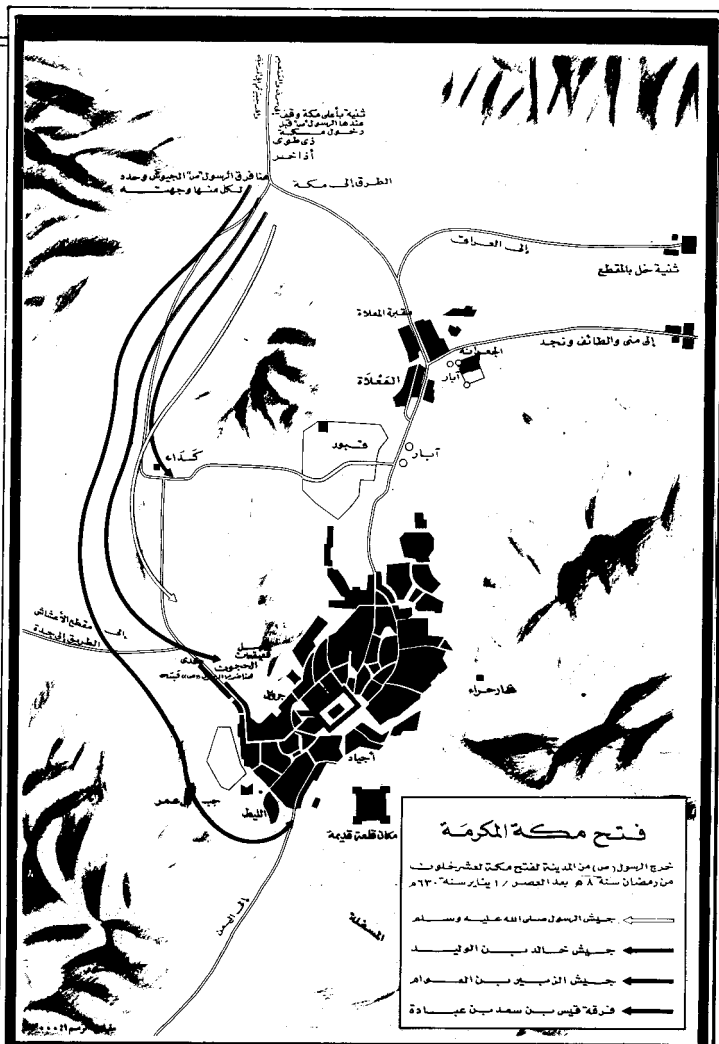

فتح مكة المكرمة

السامية من مبادئ الحضارة المعاصرة التي تستبيح البيضة ، وتستحل الحرمة ، وما فعله الصرب في البوسنة والهرسك ليس عنا ببعيد مما يشيب له الولدان وتنفطر له القلوب والأبدان .

فإلى الله المشتكى .

٢ - فتح مكة كان مفتاحًا للفتوحات الإسلامية من بعده

فقد كانت قريش بما لها من مكانة دينية وقوة مادية تمثل لحمة الشرك وسداه ، فلما انفرط عقدها بفتح مكة تناثرت خرزات الشرك المستعصي في أرجاء الجزيرة العربية ، فانهزمت هوازن في حنين ، وانهزمت بعدها ثقيف في الطائف ، وتساقطت قلاع الوثنية الواحدة تلو الأخرى بعد هذا الفتح العظيم .

٣ - تطلع الرسول لغزو الروم بعد تطهير الجزيرة

ذلك أن الرسول ﷺ بلغه أن هرقل جمع له ، وسير جيشًا عدده أربعون ألفًا ، وكان من هديه ﷺ أنه إذا بلغه أن قومًا يجمعون له باغتهم قبل أن يفاجئوه كما فعل مع هوازن بحنين .

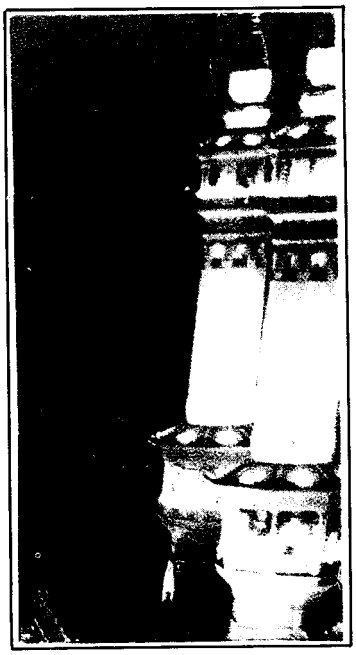

وقد كان في هذه الغزوة تدريب للصحابة الكرام على الجهاد في سبيل الله جل وعلا ، وأنه ليس قاصرًا على الجزيرة فحسب . وإنما هو شأن إسلامي عالمي تتحمله الأمة المسلمة على عاتقها ؛ لتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا المنوال ، ففتحوا بلاد الفرس والروم وما وراء النهر ، وكان المد الإسلامي للفتوحات هذا الفتح الأعظم ، فأول الغيث قطر ثم ينهمر .

٤ - الوفود تتقاطر على المدينة كالغيث

كان من آثار فتح الفتوح اندفاع القبائل نحو المدينة تعلن عن قبولها للدين الجديد وتصديقها برسول الله ﷺ ذلك أن انتصارات الإسلام المتلاحقة بقيادة رسول الله ﷺ كان دويها المرعب قد ملأ القلوب والأسماع لسائر البطون العربية ، ورأت بأم عينيها كيف تهاوت رءوس الوثنية المتحجرة أمام مطارق التوحيد ، فكان لهم في قريش عبرة ومثلًا ، فاستسلمت بقية القبائل وحضرت إلى المدينة المنورة معلنة رايات الاستسلام منضوية تحت راية التوحيد التي رفرفت على جموعهم ، وقد وسعهم حلم رسول الله ﷺ « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

٥ - تطهير مكة حرم الله الآمن من أدران الشرك وآثار الوثنية

كان في مكة حول بيت الله الحرام قرابة ثلاثمائة صنم تجثم في ثقل وثني ، ويتقرب إليها الطائفون والعاكفون بشتى أنواع القرب والتعبد الشركي ، وبهذا الفتح الأعظم حطم الرسول ﷺ هذه الأوثان وهو يتلو قول الله تعالى :

﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وبذلك تخففت مكة والبيت الحرام من أوزار الوثنية التي جثمت على صدرها دهرًا ، وتطهرت قبلة المسلمين من الشرك ، وأصبح المسلم يتوجه إلى هذا البيت ، وهو في أي مكان هادئ النفس ، مطمئن الفؤاد أن قبلته صارت خالصة للموحدين ، وأصبح مدُّ التوحيد يغسل أدران الشرك في أرجاء الأرض بعد نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة : ٢٨] .

فأرسل الرسول ﷺ عليًا ينادي في الموسم : « ألَّا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » .

٦ - نصر الله جل وعلا لرسوله ﷺ

إن رؤية أهل مكة للنصر الذي تحقق لرسول الله ﷺ بعد أن أخرجوه منها مهاجرًا من الأسباب القوية الدافعة لهم على اعتناق هذا الدين الإسلامي ، وكذلك شهود صحابة النبي ﷺ لهذا الانتصار أعطاهم اليقين والثقة والاندفاع نحو نشر هذا الدين في أرجاء المعمورة حاملين بين جوانحهم الثقة بالله عز وجل ونصره للمؤمنين ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] .

٧ - هذا الفتح الأعظم أنقذ الله به أقوامًا من الظلمات إلى النور

وهؤلاء يسمون بمسلمة الفتح الذين رأوا هذا السيل الجارف والجيش العرمرم ، وقد صار منهم قادة من أمثال عكرمة بن أبي جهل وغيره ، ومنهم حكيم بن حزام الذي أسلم ، وحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في اليمين قال : (والذي نجاني يوم بدر) .

فأسلم في فتح مكة وآلاف غيرهم ، ولهذا أطلق ابن القيم على هذه الغزوة الفتح الأعظم لما كان لها من هذه الآثار العالمية في دعم الرسالة الخالدة ، والتمهيد لنشرها في جنبات العالم .

ليت هذه الأمة الإسلامية تدرس سيرة نبيها ، وتتبين مواضع فخرها وعزها ؛ لتنتفع من ماضيها لحاضرها .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

والله من وراء القصد

د . الوصيف علي حمزة

الذين يباح لهم الإفطار

١ - **المريض** والمسافر ، وعليهما القضاء لقول الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، وأما المريض مرضًا لا يرجى شفاؤه ، فعليه الإطعام عن كل يوم مسكين .

٢ - **الحائض** والنفساء عليهما القضاء لقول عائشة : كنا نُؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

٣ - **الشيخ** والشيخة الكبيران اللذان لا يطيقان الصوم ، وعليهما الإطعام عن كل يوم مسكينًا .

٤ - **الحامل** والمرضع إذا خافتا على نفسيهما ، وعليهما القضاء فقط ؛ وأما إذا خافتا على ولديهما فقط فعليهما القضاء والإطعام .

تهذيب الطبائع بالعبادة

فضيلة الشيخ / السيد عبد الحليم

إن الله جلت حكمته ، ميَّز الإنسان باستعداده لقبول عبادة خالقه ، بما منحه من العقل والنطق ، وخصه بهما دون سائر الحيوان والجماد ، فكلفه العبادة وحده ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣] .

وظاهر أن المراد بالأمانة – والله أعلم – احتمال عهد التكليف ، وما ينجم عنه من الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية ، فالإنسان بطبيعته واستعداده وقابليته تلقى هذا التكليف ... والسموات والأرض والجبال لعدم استعدادهن وقابليتهنَّ بفطرتهنَّ ، لم يستطعن تحمله . وما أجمل قوله في حق الإنسان : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، فإن الظلوم من لا يكون عادلًا ، ومن شأنه أن يعدل والجهول من لا يكون عالمًا ومن شأنه أن يعلم ، وتلك حال الإنسان .. أما غيره فصنفان : صنف عالم عادل لا يعتوره الظلم والجهل أبدًا . وهؤلاء هم الملائكة . وصنف غير متصف بالعدل والعلم . وليس من شأنه ذلك كله : كالبهائم والجمادات .

وإذا خص الله - سبحانه وتعالى - الإنسان دون غيره بنعمة التفكير ، أطلق له النظر في السموات والأرض ، وما فيهما من الأفلاك والكواكب ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن وغيرها ، ليستخدمها في إصلاح معيشته . تأمل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٢ - ٣٤] .

ثم أوجب عليه الشكر باستدامة ذكره ، والخضوع لأوامره ، والوقوف عند أحكامه وحدوده ، وعلَّمه أن العبادة له وحده دون سواه ، فلا واسطة فيها بين العبد وربه ، لا ملك مقرَّب ، ولا نبي مرسل ، ولا ولي من دونه ، تأمل ما جاء في قوله ﷺ لمعاذ : « يا معاذ : هل تدري ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ »، قال معاذ : الله ورسوله أعلم قال : « فإن حق الله على عباده ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحقُّ العباد على الله . ألا يُعذِّبَ من لا يُشرك به شيئًا » .

جلَّت حكمة الله في هذا الدين الحكيم ، فقد طلب إلى الناس أن يعبدوه ، وجعل عبادته وسيلة لتجميل ظواهرهم ، وتهذيب طبائعهم ، وتكوين عادتهم ، وإصلاح سرائرهم . وإليك البيان :

أمر الإنسان بالوضوء قبل الصلاة لتجميل مواطن نظر الخلق ، بإزالة ما أصاب أعضاء الوضوء من ملامسة الأشياء ، ومما يحمله الهواء من التراب ، وتُخرجه المسامُّ من العرق ، وتقذفه المنافذ من الأقذار ، وبهذا يستجمله المصلون ، ويألفه المؤمنون . على أن في غسل أعضاء الوضوء محافظة على الصحة ، بدفع عوامل الأمراض ، والوقاية منها ، فقد ثبت طِبيًّا أنها تدخُل في الجسم من المنافذ التي يعمها الوضوء ، فإذا أزيل عنها ما عليها ، مما يمنع بروز العرق ، وتصاعد الأبخرة كان ذلك أحفظ للصحة ، وأدعى للسلامة .

هذا إلى أنه ليس في البدن ما يتحرك للمخالفة أسرع من أعضاء الوضوء ، فكان في غسلها التنبيه على الاعتناء بطهارتها ، وكانت طهارته الظاهرة كالرمز والإشارة إلى الطهارة الباطنة ، وهي التوبة من ذنوبها الكثيرة الوقوع ، يشهد بذلك ترتيبها في التطهير على حسب إسراعها للمخالفات ، وكثرة وقوعها في الآثام .

ألا ترى أنه يقدِّم الوجه الذي لا يُوجد أكثر منه في الأعضاء مخالفة ؛ لاشتماله على الفم الذي آفته أكثر من أن تحصى ، والأنف والعينين اللذين تقرب ذنوبهما من ذنوبه ؟ ثم تطهَّر بعده اليدان اللتان يكون البطش بهما بعد التكلم باللسان : والنظر بالعينين غالبًا ، ثم الرأس المجاور للوجه الذي هو كثير الذنوب ، واكتفى فيه بالمسح ؛ لأن مجاورة المذنب أخف من ارتكاب الذنب ، فضلًا عما في غسله من الحرج : تأمل قول ابن عباس - رضي الله عنهما - : (شرع غسل الكفين للأكل من موائد الجنة ، والمضمضة لكلام رب العالمين ، والاستنشاق لروائح الجنة ، وغسل الوجه للنظر إلى وجه الله الكريم ، وغسل اليدين إلى المرفقين للسوار ، ومسح الرأس للتاج والإكليل ، ومسح الأذنين لسماع رب العالمين ، وغسل الرجلين للمشي في الجنة) ، وهذا التأويل في غاية الحُسْن كما ترى .

وأمره بالطهارة العامة لإزالة الروائح الكريهة التي تضر صاحبها والمصلين ، وتستوجب سخطهم عليه ، واستقذارهم إياه ، وميلهم إلى التباعد عنه ، والنفور عن التقرُّب منه ، مع أنَّه منهي عن تجنُّبهم والإضرار بهم ،

مأمور بالإحسان إليهم ، والاختلاط بهم ، ولا سيما في مجالس الخير ، كصلاة الجماعة التي أكدها الشارع ، وحث عليها العقل ، ومجامع الوعظ والإرشاد للتكمل . وغير ذلك .

ومن أسرارها : انشراح النفس ونشاطها ؛ لأن لها بالبدن ارتباطًا قويًا لا يجحده ، فكل تأثير في الجسم يظهر أثره في النفس ، فإذا نُظف الجسم انشرحت النفس ، وذهب كسلها وفترتها ، وجاء نشاطها وقوتها ، وسهل عليها إحسان العبادة ، والإتيان بها على أكمل وجه ، ومن ظفر بذلك خفَّتْ عليه عبادة ربِّه ، وكان على القيام بها وبأعماله الدنيوية أقدر .

ومن أسرارها : أن في تنظيف الظاهر بالماء ، إشارة إلى تنظيف الباطن من الأخلاق الردئية ، والعقائد الفاسدة ، فقد جاء في الخبر : « الطهور شطر الإيمان » ، ولا يكون كذلك وهو مقصور على نظافة الظاهر . لهذا قصد الشارع الحكيم أن يغرس في الناس خُلق نظافة الظاهر ، ليُطهِّر بواطنهم ، فيتخلَّوا عن الأخلاق الذميمة ، ويتحلَّوا بالسجايا الكريمة ، ويتنزَّهوا عن العقائد الزائغة ، ويتمسَّكوا بالمشروع منها ، فإنه إذا استحكمت الموافقة ، تعذَّرت المفارقة ..

وأمره بالصلاة لما يأتي :

١ - **أن** الصلاة إذا أُديت على الوجه المطلوب من الخشوع والتعظيم والحياء ؛ غيرت ما جُبلت عليه نفس الإنسان ، من الهلع الناجم عن الركون إلى حظوظ الدنيا ، وإيثار العاجل على الآجل ؛ لأن وقوف المصلي بين يدي ربه ، يتضرَّع إليه ، ويستحضر خشيته في قلبه ، ويتذكر عظمته ، ويخاف عقابه - يُهوِّن عليه حرصه على العاجل ، ويقوِّي رغبته في الآجل .

٢ - **خلق** الإنسان بفطرته غير ثابت في أحواله ؛ إن رزقه الله خيرًا بطر وطغى . ومنع حقه فيه ، وإن رزق الشر جزع وسخط ، فإذا أدَّى الصلاة كل يوم خمس مرات في أوقاتها الراتبة ، توطنت نفسه على الثبات وقوة الجأش ، وخضوعها لجميع ما يجري عليها من خير وشر ، لعلمها أن الخير والشرَّ من عند الله الذي تقف بين يديه خمس مرات ، مقترنة بربوبيته ، معترفة بواحدنيته .

فالصلاة وسيلة فعلية ثابتة إلى تغيير قبيح الأخلاق ، وأدناها - وهو شدة الحرص الذي أصل المفاسد والأخلاق الذميمة - من التحاسد ، والتباغض ، إلى أجمل الأخلاق وأعلاها من إطراح الحرص وما ينجم عنه ، وأنها تكسب صاحبها الثبات والمثابرة ، وقوة العزيمة وتوطن النفس على النظام والتؤدة ، والتروِّي في الأمور ، وإلى فضل الصلاة في هذا المعنى يُشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢٢] .

٣ - **الصلاة** تحول بين صاحبها وارتكاب المناكير عامة ؛ لأنها بما اشتملت عليه من الذكر والقراءة والركوع والسجود ، ومظاهر الخضوع لله سبحانه ، تجعل المصلي خالي الفكر من الشواغل الدنيوية، مستحضرًا خشية الله بقلبه ، متضرِّعًا إليه ، ممتثلًا لإرادته ومشيئته ، وبذلك ترتدع نفسه عن الشهوات ، وتعدل عما كانت تصر عليه من الآثام والمنكرات ؛ لأن الإقرار بعظمة الله قولًا وفعلًا يدل دلالة واضحة على أن المصلي لا ينابز صاحب العظمة والكبرياء بالعصيان ، أو يجاهره بالمنكر : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

٤ - **إن** توْقِيتَ الصلاة بأوقات راتبة ، وأزمان مترادفة ، سبب لاستدامة الخضوع لله تعالى ، والابتهال إليه ، فلا تنقطع الرهبة منه ، ولا الرغبة فيه ، وإذا لم تنقطع الرغبة والرهبة استدام الخلق صلاحهم .

٥ - **إن** أهل كل بلد محتاج بعضهم إلى بعض ، فمنهم الغني والفقير ، والعالم والجاهل ، والقوي والضعيف ، فيجتمعون في الصلاة لتتحد كلمتهم ، وتتوثق فيما بينهم مودتهم ، وتتمَّ في الله أُخوتهم ، ويتعاونوا على ما يجلب

لهم الخير ، ويدفع عنهم الضَّير ؛ لأن الجيران إذا اجتمعوا في المسجد خمس مرات في اليوم والليلة لعبادة ربِّهم ، وإصلاح دينهم ، تيسَّر لهم إصلاح أمر دنياهم ، إذا حصل التعارف والتعاون بينهم ، يستدعي الرحمة والشفقة وحبَّ بعضهم بعضًا : فلا يجدون بينهم محتاجًا ، إلا نفضوا عنه غُبار الحاجة ، ولا مضطرًّا لإعانة إلا مدُّوا إليه يد المساعدة ، ولا غائبًا إلا بحثُوا عن أسباب غيبته ، فإن علموه مريضًا عادوه ، أو مشرفًا على خطر أنقذوه ، أو متقاعدًا لكسل عاتبوه ، وهذا ما كان يفعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ويأمر به ، فقد رُوي أنه قال : تفقَّدُوا إخوانكم في الصلاة ، فإن فقدتموهم ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم .

٦ – **تعويد** المؤمنين الحرَّيةَ ، وإشراب قلوبهم المساواة والإخاء ، لأن الإنسان إذا اعتاد الوقوف في صف يكون فيه السيد بجانب المسود ، والمخدوم قريبًا من الخادم – والكل ذليل بين يدي مولى عزيز – لم يجد له في هذا الموقف فضلًا على غيره ، فإذا انصرف من مكان الصلاة ، استحيى أن يرى لنفسه حقًّا ، في ادعاء السيادة ، أو التفرد بالحرِّية .

٧ – **إن** في صلاة الجماعة واتباع المصلين لإمامهم في جميع أعمال الصلاة ، تعويد النفوس الطاعة ، والانقياد للرؤساء ، وقد فطن لهذا السرِّ (رستم) قائد جيش الفرس ، حين رأى الصحابة خلف إمامهم ، يتحركون لحركته ، ويسكنون لسكونه .

وأَمرهُ بالصَّوْمِ لما يأتي :

١ – **ليس** القصد من الصوم مجرد الإمساك عن الأكل والشرب وعن كل مفطر ، من الفجر إلى الغروب ، بل المقصود أثر ذلك ، وهو كفُّ النفس عن المضيِّ في ميولها ، التي أمرنا بمجاهدتها ، بسلاح الصبر والتقوى ، ولا يتحقق ذلك الأثر ، إلا بكفِّ اللسان عن الهذيان والفحش ، والغيبة والنميمة والكذب والمراء ، وكفِّ السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ومنع البصر عن النظر إلى جميع ما ينافي خشية الله تعالى ، « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله ! فمن تركها خوفًا من الله آتاه الله – عز وجَلَّ – إيمانًا يجد حلاوته في قلبه » ، وإلى هذه الحكمة البالغة من الصوم يشير الحق سبحانه فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] . أي : تتخذون من الصوم وقاية تحولُ بينكم وبين الميول المرذولة ، والمنكرات وسائر الموبقات : « إنَّما الصوم جُنَّة ، فإذا كان أحدِكم صائمًا فلا يرْفُثْ ، ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إني صائم » ، فالصوم وقاية يتحصن بها الصائم عن عَدُوَّيْه : النَّفْسُ . والشيطان .. فالنفس يكبحها عن مطاوعتها في ميولها ، ومتابعتها في غُلَوائها .. والشيطان يقهره بموافقة تلك الميول بالأكل والشرب : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق ، فضيقوا مجاريه بالجوع » .

٢ – **إن** سبب الأمراض في الغالب الأكل والشرب ، وحصول فضلة الأخلاط في المعدة . وحسبك ما ينشأ عن الأمراض من تنغيص العيش ، ومقاساة الآلام الشديدة أو عدم القدرة على أداء الواجبات الدينية والدنيوية ، فـ (البطنة رأس الداء ، والحمية رأس الدواء) ، فصوم شهر في السنة تطهير للمعدة مما تخلَّف فيها من فضلات الطعام طول العام .

وقد قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُنَيَّ إذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرِسَتِ الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقد وصف الحسن البصريُّ في قصصه ، نقص الإنسان بالطعام وغيره فقال : مسكين ابن آدم : محتوم الأجل ، مكتوم الأمل ، مستور العلل ، يتكلم بلحم ، وينظر بشحم ، ويسمع بعظم ، أسير جَوْعة ، صريع شبعة ، تؤذيه البقَّة ، وتنتنه العرْقة ، وتقتله الشَّرْقَة ، لا

يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياةً ، ولا نشورًا .

٣ - **إن** من اعتاد قلة الأكل والشرب ، كفاه من المال قدر يسير ، ومن تعوَّد الشبع جعل بطنه غريمًا ملازمًا له ، آخذًا بمخنَقه كل يوم ، يُطالبه بمطالبه المنوَّعة ، التي قد تدفعه إلى السرقة ، أو القمار ، أو إراقة الدماء أو إراقة ماء وجهه ، أو ارتكاب ضروب الذلة ، والدناءة ، وخسَّة النَّفْس .

٤ - **إن** من منع النفس عن مشتهياتها ، وكفها عن بعض رغباتها ، وسيلة إلى أن تسكن لربها ، وتخشع له ، ويتبيَّن لها عجزها إذا ضاقت حيلها وأظلمت عليها الدنيا ، لشعورها بالحاجة الشديدة إلى يسير الطعام وقليل الشراب ، والمحتاج إلى الشيء ذليل به ، وفي هذا حث له على أن يخلع عن عاتقه رداء الكبر ، ويخضع لخالقه ورازقه ، ويُعامل خلق الله بحسن الخلق ، ولين الجانب ، فتتمَّ الرأفة ، والمودَّة ، والمساعدة ، والمعاونة .

٥ - **الصوم** سبيل تعوَّد الصبر ، والثبات على المكاره ، فإن الصائم يكلف نفسه البعد عن مشتهياتها : من الأكل والشرب وما إليهما . ويذودها عن ذلك بعزم قوي وصبر جميل ، فلو رغبته بأعظم الرغائب ، على أن يتناول من الطعام ذرَّة ، أو من الشراب قطرة ، ما وسعه ذلك ، ووجد في نفسه ما يكدر خاطره ، ويُنغِّص عيشه ، ومن اعتاد مقاومة نفسه عند نزوعها إلى ميولها ، أصبح لعقله السلطان على بقية قواه . ومن السعادة أن يملك الإنسان نفسه ، لا أن تملكه نفسه .

٦ - **إن** من يرعى الأمانة في هذه العبادة في سرِّه وعلانيته ، جدير بأن يؤتمن على أنْفَسِ شيء وأعظمه ، وفي ذلك من حسن السيرة ، ما به يكون صاحبه من أجل الناس قدرًا ، وأشرفهم ذكرًا ، وأعظمهم أجرًا .

هذا إلى أن المحافظة على تأدية هذه العبادة في أشد الأمكنة خفيَة ، وأبعدها عن أعين الرائين - دليل على كمال المروءة ، وعلو الهمة ووفرة الحياء ... وما المروءة إلا المحافظة على الأحوال التي تكون بها النفس على أفضل حال وأكملها : « إن مروءة الرجل مَمْشَاهُ ومدْخلُهُ ، ومخْرجُهُ ، ومجلِسُهُ وإلْفُه ، وجَليسُهُ » .. وما الحياء إلا ثلاثة أمور :

أحدها : امتثال أوامر الله - عز وجل - ، والكفُّ عن زواجره ، وحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وترك زينة الحياة الدنيا ، وذكر الموت والبلى .

وثانيها : كفُّ الأذى عن الناس ، وإطراح مجاهرتهم بالقبيح ، واتقاؤهم ، فلا خير فيمن لا يستحي من الناس ، وإلى ذلك يُشير بشار بن برد ، فيقول :

ولقد أصرف الفؤادَ عن الشي ... ءِ حياءً وحبُّه في السواد
أُمسِكُ النفس بالعفاف وأُمْسي ... ذاكِرًا في غيرِ حديث الأعادِي

وهذا النوع من الحياء كمال المروءة ، وحبُّ الثناء ؛ فمن ألقى جِلْبَابَ الحياء فلا غيبةَ له ، وذلك لقلة مروءته ، وضعفه أمام ميوله .

وثالثها : حياء الإنسان من نفسه ، بعفَّتها وصيانتها في الخلوات ، كما قال بعض الحكماء : ليكُن استحياؤُك من نفسك ، أكثر من استحيائك من غيرك .

كما قال بعض الشعراء :

فسِرِّي كإعْلاني وتلك خليقتي ... وظُلمةُ ليلي مثلُ ضوءِ نهاريَا

وجَلِيٌّ أن من استكمل هذه الأمور الثلاثة من الحياء ، كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه أسباب الشرِّ ، وصار بالفضل مشهورًا ، وبالجميل مذكورًا .

٧ - **إن** كفَّ النفس عن مشتهياتها ، ومنعها من مبْتَغاياتها ، مجاهدة عظيمة لها ، دالة على توفُّر الشجاعة الأدبية ، وهي أساس الفضائل ، وعنوان محاسن الشمائل .

٨ - **إن** الصائم يُعاني خلال صومه من حرارة الجوع ولظى الظمأ ، ما يدفعه إلى إعانة من رآه محتاجًا إلى طعام أو شراب ، لينقذه من مثل ما ذاق ألمه ، بخلاف من لم يصم ، فإن من لم يقاسي بلاءً ، لم يُدرك عناءً .

بقلم العلامة الشيخ **محمد ناصر الدين الألباني**

« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليَّ فهو أقطع أبتر ، مسحوق من كل بركة » .

موضوع .

رواه السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/١) من طريق إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا . وقال (١٠/١) :

(**لا** يثبت) .

قلت : بل هو موضوع بهذا السياق ، وآفته إسماعيل هذا ، قال الدارقطني :

(**متروك** الحديث) .

قلت : وقد روي الحديث من طريق أخرى عن الزهري به دون ذكر الصلاة ، ودون قوله : « أبتر ... » وهو ضعيف الإسناد كما حققته في « إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل » (رقم ١ و ٢) .

« ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره » .

لا أصل له مرفوعًا .

قال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » (٣٠/١ و ١٠٥ طبعة الحلبي) :

(**رواه** الترمذي الحكيم في « النوادر » من قول بكر بن عبد الله المزني ، ولم أجده مرفوعًا) .

وأقره الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (رقم ٩٧٠) .

ومن المؤسف أن يُسْمع هذا الحديث من بعض الوعاظ في المسجد النبوي ، سمعته منه في أواسط شهر شوال سنة ١٣٨٢هـ مصرحًا بصحته ، وقد حاولت الاتصال به بعد فراغه من الوعظ واستدللت على المنزل الذي كان حل فيه ، ثم عرض لي ما حال بيني وبين ذلك ، ثم سافر في اليوم الثاني ، فعسى أن يطلع على هذه الكلمة ، فتكون له ولغيره تذكرة . (والذكري تنفع المؤمنين) .

* السلسلة الضعيفة جـ٢ .

« يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ضعيف .

أخرجه ابن إسحاق في « المغازي » (١/٢٨٤ - ٢٨٥) « سيرة ابن هشام » : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث :

أن قريشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة[1] بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا . للذي كانوا قالوا له . فأبقِ علي وعلى نفسك . ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله ﷺ ، (فذكره) . قال : ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا .

قلت : وهذا إسناد ضعيف معضل ، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة .

وقد وجدت للحديث طريقًا أخرى بسند حسن لكن بلفظ :

« **ما** أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك ، على أن تستشعلوا لي منها شعلة » ، يعني : الشمس .

وقد خرجته في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٢) .

(ليس لفاسق غيبة) .

باطل . رواه الطبراني في « المعجم الكبير » وأبو الشيخ في « التاريخ » (ص ٢٣٦) وابن عدى (ق ٦١ / ٢) وأبو بكر بن سلمان الفقيه في « مجلس من الأمالى » (١٥ / ٢) وأبو بكر الدقاق في « حديثه » (٢ / ٤٢ / ٢) والهروى في « ذم الكلام » (٤ / ٨١ / ١) والقضاعى في « مسند الشهاب » (٩٧ / ٢) والواحدى في « التفسير » (٤ / ٨٢ / ١) وكذا الخطيب في « الكفاية » (ص ٤٢) كل هؤلاء من طريق جعدبة بن يحيى الليثى : ثنا العلاء بن بشر عن سفيان عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً .

قلت : وهذا سند ضعيف جداً ، جعدبة قال الدارقطنى :

« متروك »

والعلاء بن بشر ضعفه الأزدى . وذكره الحاكم فقال :

« هذا الحديث غير صحيح » ، وقال ابن حبان في « الثقات » في ترجمة العلاء :

« روى عنه جعدبة بن يحيى مناكير » . وقال

ابن عدى :

« والعلاء بن بشر هذا لايعرف ، وهذا اللفظ غير معروف » .

ونقل المناوى عنه عن أحمد أنه قال :

« حديث منكر »

(إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) .

ضعيف . أخرجه أحمد بالسند الذى قبله . وكذلك أخرجه البخارى فى « التاريخ » (٤ | ١ | ٨) وأبو داود (٢ | ٢٨٧) وابن عساكر (١٥ | ٣٣٧ | ٢) .

قلت : وسنده ضعيف فيه مجهولان ، كما بينته آنفا .

وقد سكت عنه الحافظ العراقى فى« تخريج الإحياء » (٣ | ١٤٥ و ١٥١) وابن حجر فى « الفتح » (١٠ | ٣٨٤) .

والحديث روى عن معاوية بلفظ .

« الغضب من الشيطان ، والشيطان من النار ، والماء يطفى النار ، فإذا غضب أحدكم فليغتسل » .

رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٢ | ١٣٠) وابن عساكر (١٦ | ٣٦٥ | ١) عن الزبير بن بكار نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى روّاد عن ياسين بن عبد الله بن عروة عن أبى مسلم الخولانى عن معاوية ين أبى سفيان أنه خطب الناس وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة ، فقال له أبو مسلم : يامعاوية إن هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك ، ولا مال أمك ، فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا ، ونزل فاغتسل ثم رجع فقال : أيها الناس إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالى ولا مال أبى ولا مال أمى ، وصدق أبو مسلم ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول (فذكر الحديث) اغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل .

قلت : وهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ياسين بن عبد الله بن عروة لم أجد له ترجمة .

وعبد المجيد بن عبد العزيز فيه ضعف ،

أمور لا تفسد الصوم

١ - **الأكل** أو الشرب ناسيًا ، أو مخطئا ، أو مكرهًا ، فلا قضاء عليه ولا كفارة لقوله ﷺ : « من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » . [متفق عليه]

ولقوله ﷺ : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » . [صحيح رواه الطبراني]

٢ - **القيء** بدون تعمد لقوله ﷺ : « من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء » . [صحيح رواه الحاكم]

٣ - **استعمال** السواك في كل وقت ، ومثله فرشاة الأسنان والمعجون .

٤ - **المضمضة** والاستنشاق بغير مبالغة : لقول الرسول ﷺ للقيط بن صبرة وافد بني المنتفق : « أسبغ الوضوء ، وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا » . [صحيح رواه أهل السنن]

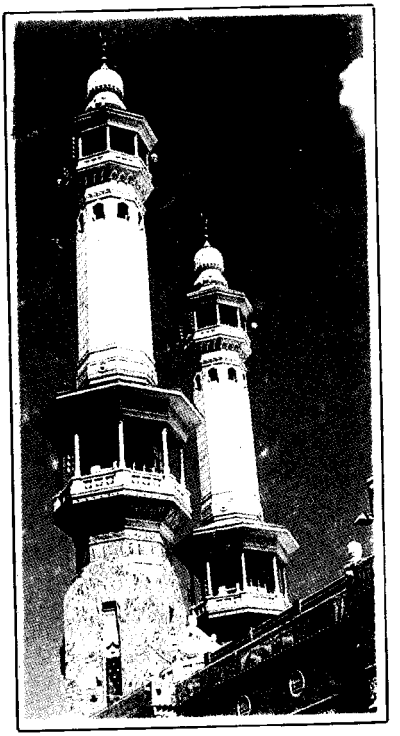

الفتاوى الميسرة

إعداد

لجنة الفتوى

بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفي

د. جمال المراكبي

س : يسأل سائل عن حكم من يجامع زوجته في نهار رمضان ؟ وهل عليه كفارة ؟

ج : أن من جامع زوجته في نهار رمضان وهو صائم ؛ فقد وقع في ذنب كبير بانتهاكه حرمة شهر رمضان ، وعليه أن يكفر عن ذنبه بالكفارة المشروعة على الترتيب الآتي :

عتق رقبة .

صيام شهرين متتابعين .

إطعام ستين مسكينًا .

وذلك لما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : « مالك ؟ » ، قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم . فقال رسول الله ﷺ : « هل تجد رقبة تعتقها ؟ » ، قال : لا . قال : « هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » ، قال : لا . قال : « فهل تجد إطعام ستين مسكينًا ؟ » ، قال : لا . فمكث النبي ﷺ ، فبينا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر – والعرق : المكتل – قال : « أين السائل ؟ » ، فقال : أنا . قال : « خذ هذا فتصدق به » ، فقال الرجل : على أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « أطعمه أهلك » .

ومناسبة هذه الخصال أن من انتهك حرمة الصوم

ويسأل *م . ع . من الشرقية : عن رجل استمنى في نهار رمضان ، هل يجوز له الأكل والشرب ؟*

والجواب : أن هذا الشخص جمع جملة من المحرمات ، ويجب عليه الإسراع بالتوبة النصوح ، والندم على هذه الذنوب التي وقع فيها ،

بالجماع فقد أهلك نفسه بالمعصية ناسب أن يعتق رقبة فيفدي نفسه ، وقد صح أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار .

أما الصيام فمناسبته ظاهرة ، لأنه كالمقاصة بجنس الجناية ، أما الإطعام فمناسبته ظاهرة ، لأنه مقابلة كل يوم بإطعام مسكين ، وهذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الأحرار بالإطعام ، وحق الجاني بثواب الامتثال .

ولكن هل على المرأة كفارة إن هي طاوعت ؟ ليس في الحديث ما يشير إلى ذلك ، ومن هنا فقد اختلف أهل العلم في ذلك ، والراجح أنه لا كفارة عليها . والله أعلم .

وأن يتقي الله ، ويجتنب المحارم ، وعليه قضاء اليوم الذي وقع فيه ذلك .

وهذا الذي استمنى في نهار رمضان لا يجوز له أن يأكل أو يشرب في نهار هذا اليوم ، لأن حرمة اليوم باقية ، فيمسك بقية يومه حتى يمسي .

مفطرات الصيام كثيرة

ويسأل أ . ع . م . عن *ما يفطر الصائم وما يباح له* .

والجواب : مفطرات الصيام كثيرة : منها ما يوجب القضاء كالأكل والشرب عمدًا ، والتدخين ، والاستمناء والقيء عمدًا ، والحيض والنفاس ، سواء انتهى بعد الفجر ، أو بدأ قبل غروب الشمس ولو بوقت يسير فضلًا عن أن يكون في وسط النهار .

ومنها ما يوجب القضاء والكفارة معًا ، وهو الجماع في نهار رمضان .

أما الاحتلام في نهار رمضان ، والأكل والشرب ناسيًا ، ومن ذرعه القيء فلا شيء عليه ، ويباح للصائم : السواك ، والمضمضة ، والاستنشاق من غير مبالغة ، والتعطر ، والاكتحال .

وإذا أصبح الصائم جنبًا من احتلام ، أو من جماع قبل الفجر أو انقطع دم الحيض قبل الفجر ، فيجب الغسل ولو بعد الفجر والصوم صحيح .

والقُبْلَة لا تفطر الصائم إلا إذا أمنى ، والحجامة لا تفطر الصائم كذلك .

ولا يفطر الصائم ما لا يستطيع الاحتراز منه كبلع غبار الطريق أو النخامة ، ونحو ذلك . والله أعلم .

ردود سريعة

ويسأل *خ . أ . ج : إذا بلغه ثبوت رؤية هلال رمضان في بلد مجاور ، هل يجب عليه الصوم ؟ .*

والجواب : أن من واجبات الإمام – ولي الأمر – في البلد المسلم أن يعلن عن بدء شهر رمضان ونهايته ليعرف الناس الشرائع ويؤدونها .

وقد اختلف أهل العلم في مسألة المطالع إذا ظهرت الرؤية في بلد هل يلزم بها جميع المسلمين أم أن لكل بلد رؤيته ؟ والخلاف في ذلك مشهور ومعتبر .

والذي لا شك فيه أنه لا يجوز أن يختلف أهل البلد الواحد في هذه المسألة ، فيصوم بعضهم ويفطر آخرون ، لأن هذا الاختلاف تترتب عليه مفاسد كبيرة ، والشريعة لا تقر المفاسد بل تمنعها ، والله أعلم .

راجع في ذلك « فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » .

ويسأل *ع . ي . م : عن قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات بين ركعات القيام جهرًا في جماعة . وعن القراءة من المصحف في صلاة القيام .*

والجواب : أن هذه الطريقة التي يقرءون بها سورة الإخلاص بين ركعتي القيام بدعة ينبغي أن ينتهوا عنها ، وفي السنة الصحيحة كفاية وغنى .

أما عن قراءة الإمام من المصحف في صلاة القيام فهي جائزة عند عدم الحفظ . وقد أمَّ ذكوان عائشة من المصحف ، ولكن يجب علينا معاشر المسلمين أن نعلِّم أبناءنا ، ونهيئ منهم من يحفظون القرآن كله لإمامة المسلمين ، وقد قال النبي ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم » ، الحديث (أخرجه مسلم وغيره) .

ويسأل *ع . ش . ح . يقول : إنه لم يعلم برمضان إلا بعد الفجر قبل تناول الطعام فأمسك بعد الفجر ، فهل صومه صحيح ؟*

والجواب : أن صومك صحيح ، وإن لم تبيِّت النية من الليل ، لأنك لم تعلم بدخول الشهر قبل الفجر . والله تعالى يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، والله أعلم .

ويسأل *أ . ع . ح . عن اعتكاف النساء . ومبطلاته ، وهل هو في المنزل أو في المسجد ؟*

والجواب : الاعتكاف سنة مؤكدة ، في حق الرجال والنساء ، وهو لزوم المسجد لطاعة الله فيه ، ولا يجب إلا بالنذر . وقد اعتكف نساء النبي ﷺ معه . ولا يجوز الاعتكاف في المنزل ؛ لأن من شروط الاعتكاف : أن يكون في المسجد ، ويصح من المرأة في كل مسجد ، ولا يصح من الرجل إلا في مسجد تقام فيه الجماعة .

ويبطل الاعتكاف بالخروج من المسجد لغير حاجة ، وبمباشرة النساء : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ويسأل ش . م . أ . *عمن أذن عليه الفجر وهو يمضغ الطعام فأخرجه ، ثم شرب الماء أثناء الأذان .*

والجواب : مادام قد علم وتيقن طلوع الفجر وسماع النداء فلا يجوز له تناول شيء من المفطرات ، فإن فعل فعليه القضاء على الراجح من أقوال أهل العلم ، والله أعلم .

ويسأل م . أ . م . *هل يجوز لمن سها خلف الإمام أن يسجد للسهو بمفرده من الصلاة ؟ .*

والجواب : قال في « المغني » : المأموم إذا سها دون إمامه ، فلا سجود عليه في قول عامة أهل العلم ، وحكي عن مكحول أنه قام عن قعود إمامه فسجد . ولنا أن معاوية بن الحكم تكلم خلف النبي ﷺ ، فلم يأمره بالسجود . وروى الدارقطني في « سننه » عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « ليس على من خلف الإمام سهو » ، فإن سها إمامه فعليه وعلى من خلفه . اهـ .

أما إذا سها المأموم المسبوق فيما ينفرد فيه بالقضاء سجد للسهو ؛ لأنه قد صار منفردًا فلم يتحمل عنه الإمام ، أما إذا تيقن في التشهد أنه ترك ركنًا كالركوع أو نحوه ناسيًا ، لزمه أن يأتي بركعة كاملة بعد تسليم الإمام ، ولا يسجد للسهو ؛ لأنه سها في حال القدوة - الاقتداء بالإمام - ولو سلم الإمام ، فسلم المأموم المسبوق سهوًا ، ثم تذكر بعد ذلك بنى على صلاته وسجد للسهو ؛ لأن سهوه بعد انقضاء القدوة .

ويسأل نفس الأخ : *هل يجوز للرجل أن يُقَبِّل زوجته في نهار رمضان ؟*

الجواب : أن قُبْلَةَ الرجل زوجته في نهار رمضان جائزة إلا إذا خاف على نفسه من الفطر فتكره ، وتمنع سدًّا للذريعة .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يُقَبِّل بعض أزواجه وهو صائم .

عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يُقَبِّلُ ويباشر وهو صائم ، وكان أملككم لإربه . أي : حاجته .

وقد ورد أن النبي ﷺ قال للسائل عن القُبْلة في الصوم : « أرأيت لو تمضمضت » ، فأشار إلى فقه بديع ، وذلك أن المضمضة لا تفسد الصوم ، وهي أول الشرب ومفتاحه ، كما أن القُبْلَة من دواعي الجماع ومفتاحه ، والشرب يفسد الصوم كما يفسده الجماع . وكما ثبت عندهم أن أوائل الشرب لا يفسد الصيام ، فكذلك أوائل الجماع .

« فتح الباري شرح صحيح البخاري » (جـ ٤ ص١٨١) باب (رقم ٢٤) - القُبْلَةُ للصائم .

صلاة العيدين في المصلى

١ - **كان** رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة . [رواه البخاري]

٢ - **قال** رسول الله ﷺ : « التكبير في الفطر : سبع في الأولى ، وخمس في الآخرة ، والقراءة بعدهما كلتيهما » .

[حسن رواه أبو داود]

ورد بمجلة نور الإسلام عدد جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ فتوى بخصوص (بيع الآلات الموسيقية هل بيعها حلال أم حرام ؟)

فتفضل الشيخ / أحمد رجب ، وقال :

بأن الأصل في اللهو واللعب وأدواتها الإباحة ما لم تسقط واجبًا ... إلخ . ا هـ .

وقضية الغناء والموسيقى أصبحت راسخة في المجتمع ، ولقد خصصت وسائل الإعلام مساحات هائلة لعرض أخبار أهل الغناء لم يظفر بها العلماء والمصلحون ، والفتوى التي نحن بصددها نتعرض لها من جانبين :

الجانب الأول : قول فضيلة الشيخ : (الأصل في اللهو واللعب وأدواتها الإباحة ما لم تسقط واجبًا ....) ، فنبين معنى اللهو واللعب والأصل في اللهو واللعب .

اللهو لغة : ما لهوت به ، وشغلك من هوى وطرب ونحوهما ، يقال : لهوت بالشيء ، وألهو به لهوًا ، وتلهيت به ، إذا لعبت به وشغلك وغفلت به عن غيره قال تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣] ، أي : متشاغلة عما يدعون إليه ... راجع « لسان العرب » (٤٠٨٩/٥) .

اللعب لغة : بكسر العين وسكونها ضد الجد بكسر الجيم ، يقال : لعب بنا موج البحر ، سمي اضطراب الموج لعبًا لما لم يسر إلى الوجه الذي يراد ... « لسان العرب » (٤٠٤١/٥) .

فاللهو مرادف للعب غالبًا ، وهو :

التشاغل عما هو مطلوب ، والغفلة عما هو المحبوب والمرغوب .

وشرعًا : ورد لفظ « اللعب » منفردًا في آيات ، وورد مقرونًا باللهو متقدمًا عليه تارة ومتأخرًا عنه أخرى ، كما جاء اللفظان في أحاديث الرسول ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٢] ، أي : ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة .

فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به ، واللهو ما يلتهى به ، وما كان مرادًا للآخرة فهو خارج عنها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الحياة الدنيا التي هي لهو ولعب هي حياة الكافر ؛ لأنه يزجيها أي : يدافعها في غرور وباطل ، فأما حياة المؤمن فتنطوي على أعمال صالحة ، فلا تكون لهوًا ولعبًا) . القرطبي (٤١٣/٦) .

وحقيقة اللهو واللعب : تدور حول ما لا ينتفع به فهو الباطل والعبث ، وهو غير الجد وضد الحق ، وهو كذلك غفلة ولهو ، وهذا هو اللعب واللهو المحظور شرعًا بخلاف اللهو المحبوب شرعًا ففي

صحيح الحديث : « اللهو في ثلاثٍ : تأديب فرسك ، ورميك بقوسك ، وملاعبتك أهلك » ، « صحيح الجامع الصغير » (١١٥/٥) .

وفي حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله - عز وجل - يُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير والرَّامي به ومُنبلَهُ ، وارموا واركبوا وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا ليس من اللهو ، إلا ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهلَهُ ، ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرمي بعد ما علمَهُ رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها » « عون المعبود شرح سنن أبي داود » (١٣٦/٤) كتاب « الجهاد » باب (٤) ، والنسائي كتاب « الخيل » باب تأديب الرجل فرسه (٢٢٢/٦) ، و « تحفة الأحوذي » كتاب « الجهاد » باب ما جاء في الرمي في سبيل الله (٢١٨/٥) بلفظ مقارب .

قال الخطابي : (ليس من اللهو إلا ثلاث ...) ، يريد ليس المباح من اللهو إلا ثلاث .

وقال السندي في « سنن النسائي » : أي : المشروع أو المباح أو المندوب أو نحو ذلك فهو على حذف الصفة مثل : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾ [الكهف : ٧٩] أي : صالحة .

وقال الحافظ ابن حجر : (ليس من اللهو ...) أي : مشروع أو مطلوب إلا تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله . راجع « الفتح » (١٠٩/٦) .

وقال المباركفوري : (وكل ما يلهو به الرجل المسلم ...) أي : يشتغل ويلعب به (باطل) أي : لا ثواب له (إلا رميه بقوسه .... فإنهن من الحق) أي : ليس من اللهو الباطل فيترتب عليه الثواب الكامل .

فما عدا هذه الثلاث خصال فهو باطل ، فاللعب واللهو : كل باطل من قول أو فعل بلا فائدة ، أما الخصال الثلاث التي أشار إليها الحديث فإنها تؤدي إلى منفعة ، ومن ثم فقول الشيخ : (بأن الأصل في اللهو واللعب وأدواتها الإباحة ما لم تسقط واجبًا ...) ، فهو مخالف لنص حديث الرسول ﷺ .

الجانب الثاني : قول فضيلة الشيخ : (بيع الأدوات الموسيقية والتجارة فيها مباح مادام البائع يؤدي فرض الله عليه ...) .اهـ .

نعلم أن الشريعة جرت في المحرمات ذات الخطر العظيم أن تحرم ما يؤدي إليها سدًّا لذريعتها وبابها من بعيد .

وآلات اللهو والمعازف ورد فيها الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تحرمها ، ولم يأت ما يخالف ذلك أو يخصصه اللهم إلا الدف في النكاح والعيدين ، فإنه مباح على تفصيل مذكور في الفقه .

● **ومن** هذه الأحاديث ما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن غنم قال : حدثني أبو عامر ، أو أبو مالك الأشعري رضي الله عنهما - والله ما كذبني - سمع رسول الله ﷺ يقول : « ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف » « فتح الباري » (٥٣/١٠) ، والطبراني (١٦٧/١) ، والبيهقي (٢٢١/١٠) ، وغيرهم .

● **ومعنى الحديث :** سوف يأتي قوم يستحلون المحرمات منها فروج النساء ، ولبس الحرير ، وشرب الخمر والمعازف ، فيقولون : مباحات وقد صحت نبوته ﷺ في ذلك .

ووجه الدلالة في الحديث : أن المعازف هي آلات اللهو كلها ، لا خلاف بين أهل العلم في ذلك .

قال الشوكاني : المعازف هي آلات الملاهي .

● **قوله :** « يستحلون » ، فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة

فيستحلها أولئك القوم .

ولما قرن استحلال المعازف باستحلال الخمر والحرير والحرَ ؛ دل ذلك على تحريم المعازف ، ولو لم تكن محرمة ما قرنها مع المقطوع بحرمته . فهل نقول لصاحب الخمر حلال بيعها مادمت تؤدي فرض الله ؟!

● **وفي** كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » ، وعند الكلام على شروط البيع تعرض لرأي المالكية ...

ويشترط في المعقود عليه خمسة شروط

(١) **أن** يكون طاهرًا .

(٢) **أن** يكون منتفعًا به شرعًا ، فلا يصح بيع آلة اللهو ... اهـ . (١٦٨/٢) .

● **وفي** كتاب « الفقه الواضح » لـ د/ بكر إسماعيل قال : أمَّا ما يرجع إلى السلعة والثمن فإنه إذا كانت السلعة مثلًا لا يجوز تملكها شرعًا كالخمر وأدوات اللهو ، فالثمن لا يجوز بذله في شراء السلعة .

● **ثم** ذكر من أنواع البيوع المحرمة (بيع أدوات اللهو) لا يجوز بيع أدوات اللهو كالطبل والمزمار والطاولة والشطرنج وغيرها مما لا ينتفع به شرعًا . نقل ذلك الإمام النووي عن كثير من الفقهاء . راجع « المجموع » (٢٧٨/٩) ، وقال صاحب « قوت القلوب » : كل ما كان سببًا لمعصية من آلة أو أداة فهو معصية فلا يصنعه ولا يبيعه ، فإنه من المعاونة على الإثم والعدوان . اهـ . راجع « الفقه الواضح » (٥١١/٢) .

● **وقال** أبو زكريا النووي في « روضته » : القسم الثاني : أن يتغنى ببعض آلات الغناء ، بما هو من شعار شاربي الخمر ، وهو مطرب كالطنبور « العود الأفرنجي » والصنج « آلة بأوتار يضرب عليها » ، وسائر المعازف والأوتاره، يحرم استماعه واستعماله ، قال : وفي اليراع وجهان . صحح البغوي التحريم .

● **وفي** المذهب الحنفي : لا يجوز الضرب على الدف وسائر آلات اللهو ، إلا ما استثنوه من الدف بلا جلاجل في ليلة العرس والعيدين .

● **وقال** الشيخ عبد المجيد سليم : أن النقر على الدف وضرب الطبول والمزمار مما لا يجوز شرعًا عند فقهاء الحنفية ، بل ذلك كله حرام عندهم .

● **روى** أبو داود في « سننه » عن ابن عمر ، أنه خرج لما سمع زمارة راعٍ فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل راحلته إلى الطريق ... وقال : رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راعٍ فوضع إصبعيه في أذنيه كما فعلت (وفي رواية : فصنع مثل هذا) ، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

قال الشوكاني : وفي السند الوليد بن عبدة الراوي ... قال أبو حاتم الرازي : هو مجهول .

وقال المنذري : إن الحديث معلول ولكنه يشهد له ما أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والبيهقي من حديث ابن عباس بنحوه .

بالله عليك أزمارة راعٍ ليس فيها من الإغواء كهذه الآلات التي أصبح لها دراسة وتخصص ، وأصبحت فتانة للقلوب ، ومصغية للأرواح هل هي أولى بالتحريم أم هذا ؟!!

سعيد عامر

واعظ مدينة العاشر من رمضان

باب التراجم

من أعلام الدعوة ⑤

الشيخ / محمد عبد الظاهر أبو السمح

إمام وخطيب الحرم المكي

١٣٠٠ - ١٣٧٠ هـ ١٨٨٠ - ١٩٥٠ م

اسمه : محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه « أبو السمح » .

مولده : ولد في بلدة التلين مركز منيا القمح مديرية الشرقية . ١٣٠٠ هـ .

والده : الشيخ / محمد نور الدين الفقيه ، وقد حفظ القرآن الكريم على يديه . وهو في التاسعة من عمره .

طلب العلم في الأزهر ، ثم في مدرسة المعلمين الأولية . وقد حضر مجلس الشيخ / محمد عبده .

حصل على شهادة كفاءة المعلمين . ثم عمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية بالسويس .

اشتغل بالتدريس ، ثم التحق بدار الدعوة التي أنشأها رشيد رضا - رحمه الله .

كان يتعلم فيها ويعلم تجويد القرآن الكريم والخط .

في سنة ١٩١٤ بعد إغلاق دار الدعوة انتقل الشيخ / أبو السمح إلى الإسكندرية معلمًا خاصًّا لأبناء محمود الديب باشا .

تزوج في الإسكندرية أخت الشيخ / محمد بن عبد الرزاق حمزة ، وكان قد تزوج قبلها مرتين أنجب من إحداهما ابنه الأكبر عبد اللطيف أبو السمح .

وقد رزق الشيخ أبو السمح من أخت الشيخ حمزة ٣ أبناء وثلاث بنات .

وقد تزوج للمرة الرابعة زوجة أعقب منها ٣ أبناء وثلاث بنات .

فصار مجموع أبنائه وبناته أربعة عشر .

جهوده في نشر دعوة التوحيد

بدأ الشيخ / أبو السمح دعوته إلى توحيد الله - عز وجل - في الإسكندرية ، وقد استجاب له كثير ممن أكرمهم الله بالهداية والانتفاع بدعوته ؛ حتى كون جماعة قوية تناصره ، وتؤيد دعوة الحق مما حرك الصوفية فألبوا عليه ، وأغروا به أتباع كل ناعق ، فآذوه أشد الأذى فكانت معارك وقضايا في المحاكم - خرج منها الشيخ - بفضل الله مؤيدًا منصورًا ؛ بما أوتي من الصدق والصبر ، وبما حباه الله من حسن الخلق وطهارة القلب وقوة اليقين .

وقد أدى الشيخ / أبو السمح فريضة الحج في سنة ١٣٤٥هـ . وذلك عندما دعاه عاهل السعودية الملك / عبد العزيز عضوًا في مؤتمر مكة المكرمة ذلك العام .

لما كان الله قد جعل من الشيخ / أبو السمح وعاء كريمًا من أوعية القرآن الكريم وأعطاه مزمارًا من مزامير آل داود ، فقد طلب إليه جلالة الملك / عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - أن يكون إمامًا وخطيبًا للحرم المكي لما أعجبه من رخامة صوته وعذوبة تلاوته للقرآن .

وقد أشجى الشيخ / أبو السمح - رحمه الله - وأبكى المصلين خلفه من الوافدين إلى بيت الله من كل فج عميق خصوصًا في صلاة الفجر . قرابة ربع قرن (من السنين) . وكان موضع تقدير ولاة الأمر حينذاك ، ولم تقف جهوده - رحمه الله - عند إمامة الناس بالمسجد الحرام . بل كانت له جهود أخرى في سبيل نشر دعوة التوحيد . وكانت له إسهامات طيبة في نشر العلم الصحيح ، وتصحيح المفاهيم .

ومن هذه الجهود :

١- **درس** كان يلقيه في الحرم الشريف يزكي به النفوس ويطهر به القلوب من أدران البدع والخرافات .

٢- **كان** له أثر كبير في تأسيس دار للحديث بمكة سنة ١٣٥٢ هـ على غرار (دار الدعوة والإرشاد) ، ورحب الملك / عبد العزيز - رحمه الله - بها وخصص لها مساعدة مالية سنوية ، وبلغ من إعجابه بها وبصاحبها أن جعل دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرًا لها .

٣- **وقد** ظل الشيخ / أبو السمح مديرًا لدار الحديث ثمانية عشر عامًا موجهًا طلبتها وجهة الكتاب والسنة عملًا وعلمًا ، وقد استعان بصهره الشيخ / محمد بن عبد الرزاق حمزة ليعمل مساعدًا له ومعلمًا بالدار ، وذلك بعد أن أصابته الشيخوخة المبكرة والضعف والوهن حتى عجز في آخر أيامه عن الإمامة والخطابة بالحرم إلا نادرًا .

وفاته : توفي في الساعة الثالثة من صباح يوم الاثنين العاشر من رجب ١٣٧٠ من الهجرة النبوية ، وقد جاوز نصف العقد السابع ، وكانت وفاته بمستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة أثر تسمم كان نتيجة التهاب في الكليتين ، وقد كان يشكو من قديم مرض السكر ، فنشأ عن ذلك ضعف في القلب وهبوط في قواه .

مؤلفاته :

١- **كتاب** « حياة القلوب في معاملة علام الغيوب » ، ٢ - « الرسالة المكية » ٣ - « كرامات الأولياء » ٤ - « الحج وفق السنة المحمدية » ٥ - وله نظم كثير .

ماذا قالوا عنه :

١- **جلالة** الملك/ عبد العزيز عاهل الجزيرة العربية وقتذاك قال عنه في برقية العزاء التي أرسلها إلى عبد اللطيف أبو السمح : مصابنا مصابكم ، وأمر باستضافة عائلته بالحجاز ، وهذا إنما يدل على مكانة الرجل عند ملك السعودية وعظماء رجال الدولة .

٢- **وقد** قال عنه الشيخ / محمد بن عبد الرزاق حمزة :

فقد الإسلام داعية من دعاته ، وفقدت السنة بطلًا من أنصارها ، وفقد المسجد الحرام إمامًا كان أهلًا لإمامته ، وفقد القرآن المجيد وعاء من أوعيته ، ومزمارًا من مزامير آل داود ، مرتلًا لآياته بصوته الرخيم أمام وجه الكعبة ربع قرن من الزمان ، وفقدت العبادة الخالصة تقيًّا من تقاة المؤمنين .

وفقدت دار الحديث المكية إدارة رشيدة ، وسندًا ساندًا وتوجيهًا حكيمًا . ماذا أبكي فيه ، أعشرة ثلاثين عامًا في مذاكرة العلم من تفسير القرآن وتفهمه ، وإحياء السنة متنًا وسندًا وفقهًا ؟ أم أبكيه صهرًا كريمًا وأبًا رحيمًا لأولاد أختي ؟ أم تبكيه كرام وجوه زوار بيت الله الحرام في داره حينما يدعوهم إلى الزيارة والأنس والتعارف وربط مودة الإسلام ، فينصرفون من داره تبهرهم محاسن أخلاقه ولطف محضره وأنس حديثه ، وبشاشة وجهه ، وكرم ضيافته ؟ أم تبكيه عبقرية الشعر الذي خدم به دينه والصالحين من عباده ، غير متآكل به ؟ إلا أن ذروة الأمر وسنامه ، أنه فارس للقرآن حفظًا وتجويدًا ورخامة صوت ونداوة تلاوة ، وعذوبة قراءة .

وقال عنه الشيخ / إبراهيم بن عبيد في « تذكرة أولي النهى » : (كان رجلًا عاقلًا أديبًا ذا بشاشة وتواضع رزينًا ، له لحية كثة بيضاء ممتلئ الجسم ، بهي المنظر كان لخطبته وقراءته وقع عظيم في النفوس) .

يقرأ عنه : في مجلة الهدي النبوي .

عدد ٨ لسنة ١٣٧٠ هـ .

عدد ١٠ لسنة ١٣٧٠ هـ .

إعداد

فتحي أمين عثمان

مدير إدارة الدعوة والإعلام

ووكيل الجماعة

اليهود وجزيرة حنيش بين إريتريا واليمن

في خطوة تصعيدية غير مسبوقة قامت إريتريا باحتلال جزيرة حنيش الكبرى اليمنية والواقعة بالمدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، ونظرًا لما تمثله هذه الجزيرة مع الجزر الأخرى ؛ وذلك للأهمية الإستراتيجية التي تمثلها هذه الجزر والتي تبلغ ٤١ جزيرة عند مدخل البحر الأحمر ليس فقط على الأمن القومي اليمني ، بل أيضًا بالنسبة للأمن القومي العربي على وجه العموم وخاصة : مصر والسودان والسعودية ، فقد ثبتت الأهمية الحيوية لمدخل البحر الأحمر ومضيق باب المندب بصورة واضحة خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ م الأمر الذي يجعل من الخطوة الإريترية تهديدًا مباشرًا بكل ما تمثله على الدول الإسلامية والمجاورة .

وإذا نظرنا بعين التعجب والاستغراب للموقف الإريتري الذي تناسى في ظل التغلغل الصهيوني في إريتريا المواقف والمساعدات التي قدمت لشعب إريتريا من دول الجوار التي وقفت مع شعب إريتريا بكل قوة حتى نال استقلاله ، وكانت اليمن ومصر والسودان من أوائل الدول التي ساندت شعب إريتريا حتى حصل على استقلاله قبل أكثر من أربعة أعوام .

أفورقي والدعم الأمني لإسرائيل

ولا يخفى العلاقات المتشابكة للرئيس الإريتري (أفورقي) مع اليهود ، وطموحات (أفورقي) التي تجاوزت الحدود وبدأت تثير العديد من المشاكل مع دول الجوار العربية بدأها بإقامة علاقات وطيدة مع إسرائيل ، وتقديم الدعم الأمني لها ، حيث يتردد أنه قام بتأجير جزيرة

حنيش الكبرى في سطور

• هي أهم الجزر اليمنية الواقعة في البحر الأحمر ، تقع في نطاق المياه الإقليمية اليمنية .

• **مساحتها** حوالي ٧٠ كم ، وعلى طولها تمتد سلسلة من الجبال المرتفعة ، وعلى حافة السلسلة الجبلية يوجد سهل ساحلي رملي قابل للزراعة .

• **تمثل** حنيش موقعًا إستراتيجيًا هامًا لقربها من خط الملاحة الدولية في البحر الأحمر ، وبينها وبين الشاطئ اليمني في حدود ٢٨ ميلًا بحريًا .

• **سكانها** وجميعهم يمنيون يتراوح عددهم بعدة مئات ، موزعين بين حامية عسكرية صغيرة ، ومواطنين يعملون في الصيد ، وعمال وقتيين .

• **لعبت** دورًا هامًا في إغلاق مضيق باب المندب خلال حرب ١٩٧٣ م .

إعداد : جمال سعد حاتم

• علاقات أفوقي مع اليهود تشكل خطورة على دول الجوار الإسلامية. تستوجب معها إعادة النظر.

• التحكم في باب المندب أصبح مطرقًا لليهود .

• الحكام في إريتريا قاموا بتأجير جزيرة دهلك في مدخل البحر الأحمر لإقامة محطات إنذار ورصد بهذه الجزيرة .

• حنيش لعبت دورًا هامًا في إغلاق باب المندب في ١٩٧٣ م .

« دهلك » في مدخل البحر الأحمر ، وإقامة محطات إنذار ورصد بهذه الجزيرة ، علاوة على أوجه التعاون الأخرى الظاهرة والخفية ، والتي حرص (أفورقي) على تأكيدها مع إسرائيل ، ورغم حداثة الاستقلال ، إلا أن أسمرا تهدف إلى قيادة منطقة « القرن الإفريقي » والسيطرة على مدخل البحر الأحمر ، والالتفات إلى حقيقة العلاقة التي تربط أسمرا بتل أبيب ، لا سيما في ظل الترتيبات الإقليمية الجارية في منطقة الشرق الأوسط ، والأهداف الإسرائيلية من وراء هذه الترتيبات ، وخاصة وأن كل الدلائل تشير إلى الأيادي الخفية لليهود في الأحداث الأخيرة .

حنيش .. والتحكم في باب المندب

والصراع الذي تفجر في الأيام الأخيرة بين اليمن وإريتريا ، والذي كان نتيجته احتلال إريتريا لجزيرة حنيش الكبرى اليمنية صراع إستراتيجي ، حقيقته أنه صراع على التحكم في باب المندب ، أو باب الدموع كما كان يسميه القراصنة القدامى ، فالبحر الأحمر به عشرات من الجزر الكبيرة والصغيرة ، بعضها مهجور ، وبعضها مسكون ، بعضها صخري ،

وبعضها به ماء عذب ، تمتلك اليمن منه حوالي ٨٠ ٪ من هذه الجزر ، منها : حنيش الكبرى ، وحنيش الصغرى ، وزقر .

ومجموعة الجزر اليمنية التي لها علاقة بما يحدث الآن قريبة من الساحل اليمني ، أكبرها جزيرة زقر التي يبلغ ارتفاعها في الشمال ٦٢٤ قدمًا ، وفي الجزيرة يوجد أضخم ميناء في البحر الأحمر ، ووجود جزيرة حنيش الكبرى قريبة من خطوط مرور السفن ، وبارتفاعها الكبير يجعلها تتحكم في المرور البري في البحر الأحمر تمامًا ، وأثناء حرب الاستقلال التي خاضتها إريتريا ضد الحبشة سمحت اليمن لإريتريا باستخدام بعض جزرها ، ومن ضمنها حنيش الكبرى وحنيش الصغرى .

وعلى أي حال فالنزاع الحالي نزاع محدود - وقد ينتهي في وقت قريب - ولا نظن أن الأمر الواقع الحالي الذي فرضته إريتريا بالقوة سوف يتعدل إلا بالقوة إذا توافرت لدى اليمن ، وخطوة إريتريا التي أقدمت عليها باحتلالها لتلك الجزيرة هي رسالة لها معناها ، فاستيلاؤها على الجزيرة الكبيرة المتحكمة في باب المندب هو عمل يقف وراءه اليهود ، برغم نفي إسرائيل لذلك ، والأحداث بين اليمن وإريتريا كدولتين مسلمتين تجعلنا في شغف للتعرف على الدولة الإريترية الوليدة .

المسلمون في إريتريا

اشتق اسمها من الاسم القديم للبحر الأحمر « فينوس إرتريوس » ، وعُرفت في العصور الوسطى باسم : (ميدوي بحري) أي : البلاد المطلة على البحر ، وسمي حاكمها : « بحر نجش » أي : ملك الإقليم المطل على البحر ، وعرفت حتى عهد قريب ببلاد « البوغوص » ، وأطلق عليها اسم « ميدري الجالي » أي : أرض الأحرار ، وقد ظلت لإريتريا شخصيتها المستقلة عبر مختلف العصور ، تسيطر الحبشة على الأراضي الإريترية إلا في فترات نادرة في حالة ضعفها وفي غفلة من الزمن .

الموقع : تحدها السودان من الشمال الغربي والشمال ، وإثيوبيا من الغرب ، وعفار وعيسى (جيبوتي) من الجنوب ، وتطل من الشرق على البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله حوالي ١٠٠٠ كيلو متر ، وتصل في الجنوب إلى قرب باب المندب ، أي أنها في مواجهة دولتين من دول الجزيرة العربية ، حيث اليمن ، وقسمًا من الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية .

الأرض : تبلغ مساحة إريتريا حوالي (١١٧,٤٠٠) كيلو متر مربع ، وتبدأ أراضيها بسهول ساحلية تطل على البحر الأحمر ، تضيق في الشمال ، وتتسع في الجنوب ، وتنحدر إليها بعض المجاري المائية مثل كميلي ، هواش ، وعلجدي ، وتلي السهول الساحلية هضبة تتخللها بعض الجبال الشاهقة الارتفاع .

السكان : يقدر عدد السكان في إريتريا بأربعة ملايين نسمة ، ويحتمل أن يكون العدد الإجمالي ٤,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، ونسبة المسلمون بينهم ٨٠٪ ، أي حوالي : ٣,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، ولقد توافدت عدة هجرات بشرية إلى إريتريا ، فلقد هاجرت عناصر عربية عديدة إلى سواحل إريتريا ،

وأغفلتها التقارير البريطانية والإيطالية في تقدير السكان عن عمد مقصود ، وفي إريتريا ثماني لهجات ، واللغتان الرسميتان لإريتريا التجريتية والعربية .

النشاط البشري :

تبلغ مساحة الأراضي القابلة للزراعة بإريتريا ١,٦٥٣,٠٠٠ فدان ، لا يزرع منها غير الثلث تقريبًا ، وتستخدم الطرق البدائية ، وتقوم الزراعة على نشاط المرأة الإريترية ، والحاصلات تقليدية ، وتتمثل في الحبوب الغذائية ، ولا يتجاوز الإنتاج « الاقتصاد المعيشي » ، وهناك حاصلات نقدية كالقطن ، والبن .

ويمثل الرعي حرفة هامة في الاقتصاد الإريتري ، ويقوم به الرجال ، وتربى الأبقار والإبل والأغنام والماعز .

كيف وصل الإسلام إلى إريتريا ؟

وصلها الإسلام مبكرًا ، ففي القرن الهجري الأول وصلت ساحل إريتريا هجرات عربية ، حملت الدعوة الإسلامية إلى شواطئها ، وتمثلت في استيلاء الأمويين على جزر « دهلك » في سنة ٨٣ هـ ؛ لتأديب القراصنة الأحباش على إثر هجماتهم على سواحل الجزيرة العربية ، وانتقل الإسلام إلى « مصوع » ، وأخذ يمتد جنوبًا ، حتى شمل سواحل البحر الأحمر ، والقرن الإفريقي ، ثم ازدهر بالتجارة بين الجزيرة العربية والساحل الإفريقي ، وكثر عدد الوافدين على باضع وغيرها من المدن الساحلية في القرن الثالث الهجري .

وتوطد وجود الإسلام في السهول الساحلية الإريترية ، وأخذ الإسلام في الانتشار بين الصوماليين ، والدناقل ، والبجاة سكان المناطق السهلية الإريترية ، وتجاوز انتشار الإسلام السهول الإريترية ، فوصل المرتفعات .

وعندما قامت الامارات الإسلامية في جنوب وشرقي الحبشة امتد نفوذها إلى إريتريا ، وعندما خاض الأئمة المسلمون حروبهم ضد الحبشة ، اشترك الإريتريون في الجهاد ، ولقد نالهم من تحالف البرتغاليين مع الأحباش الشيء الكثير من التدمير ، وتخريب المدن الساحلية ، كان هذا أثر المحور الشرقي الذي وصل الإسلام عن طريقه إلى إريتريا .

ومن الشمال والغرب محور آخر حمل الدعوة الإسلامية إلى إريتريا ، حيث كان الدعاة من بين البجاة ، فلقد وصلهم الإسلام عن طريق شمالي السودان ، ونشط الدعاة البجاة ، وحمل هؤلاء الإسلام إلى المناطق التي هاجروا إليها لا سيما « بنو عامر » هم فرع من البجاة ، تمتد مضاربهم في شمال ووسط إريتريا .

وأصبحت إريتريا معقلًا من معاقل الإسلام ، وانتشر الإسلام بين العديد من القبائل مثل « ميت كللا » في شمال إريتريا ، وبعض قبائل التيجري ، وقبائل تاكلية « بنات يسوع » وهبتية « عطية يسوع »

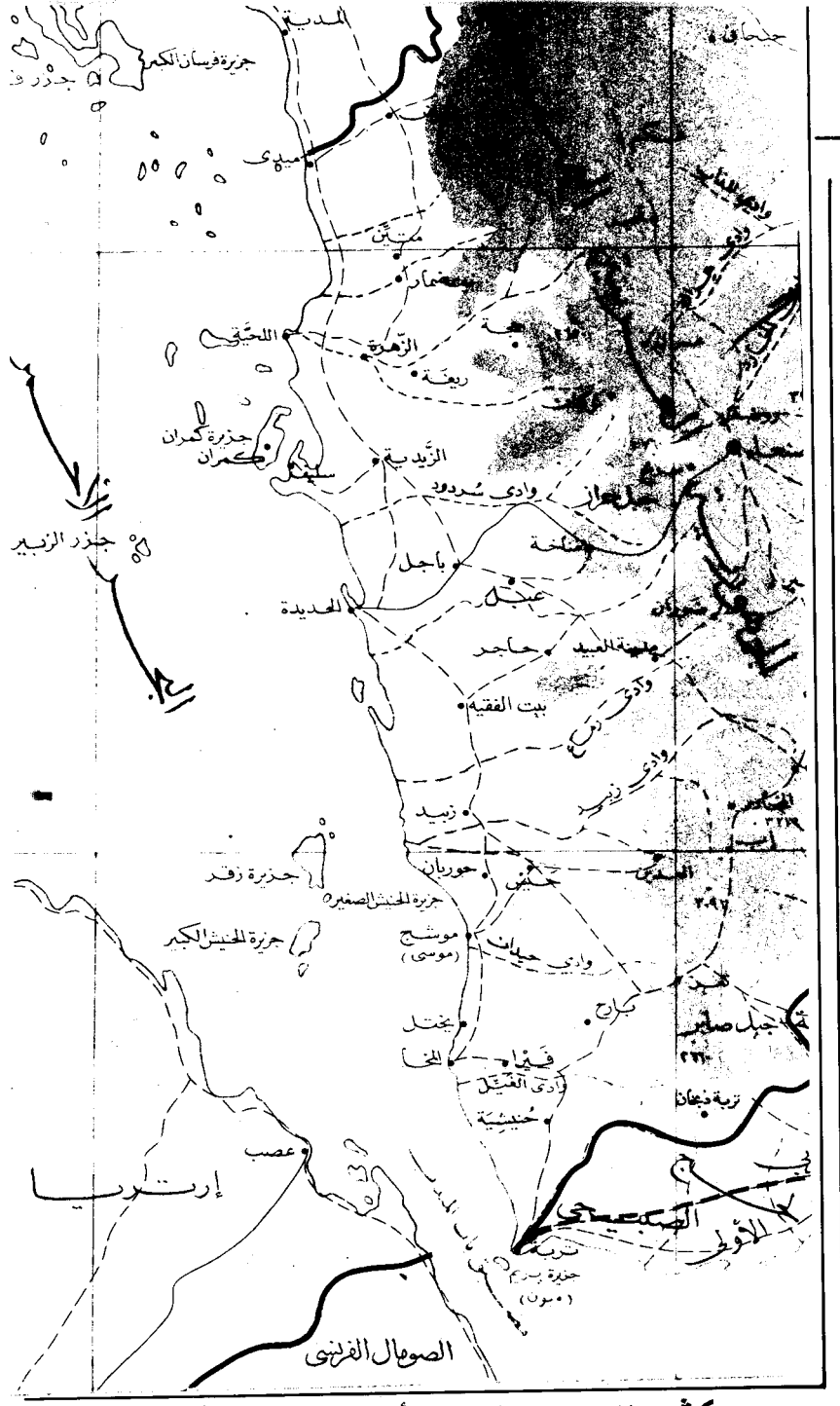

وتماديام « عطية مريم » ، وهكذا أصبحت غالبية السكان في إريتريا مسلمة .

وعلى أثر النزاع الذي دار بين البرتغاليين والأحباش من ناحية ، والأتراك من ناحية أخرى دارت معارك على سواحل البحر الأحمر ، وبسط الأتراك نفوذهم على إريتريا في سنة ٩٦٥ هـ - ١٥٥٧ م ، واستمر الحكم التركي إلى سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٤٦ م ، وحلت مصر محل الأتراك ، فسيطرت على مصوع والمناطق الساحلية الإريترية .

وكان الأحباش يطمعون في السيطرة على الساحل الإريتري ثم انسحب الجيش المصري بعد أن احتلت بريطانيا مصر في سنة ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م ، كان هذا إبان الصراع الاستعماري على شرق إفريقيا ، وسواحل البحر الأحمر .

وظهرت إيطاليا كأحد أطراف هذا الصراع ، فاحتلت مصوع ، وعوقب في سنة ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ م .

ومكث الاستعمار الإيطالي في إريتريا (٥١ عامًا) حتى سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م ، وكانت إثيوبيا لا تخفي أطماعها في إريتريا[1] ، ودارت معارك حربية بين إثيوبيا وإيطاليا ، ورغم هزيمة الإيطاليين إلا أن إثيوبيا وقعت

معهم معاهدة في سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م ، واعترف منليك إمبراطور إثيوبيا آنذاك بنفوذ إيطاليا على إريتريا ، ثم عادت الحبشة فاعترفت بهذا في سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م[٢] .

وظل الإيطاليون في إريتريا إلى أن قامت الحرب بينهم وبين الأحباش في سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م ، وسيطرت إيطاليا على إثيوبيا ، وهرب إمبراطورها هيلاسلاسي ، وظل خارج إثيوبيا إلى أن عاونه البريطانيون في الاستيلاء على إثيوبيا في سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .

فما موقف الحبشة من إريتريا بعد هزيمة الإيطاليين ؟ تجيب معاهدة ستة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م ، بين بريطانيا والحبشة على هذا ، فلقد نصت على أن تبقى منطقة أوجادين وإريتريا تحت الحكم البريطاني ، ثم دب الخلاف بين الحبشة وبريطانيا ، فعقدت بينهما معاهدة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م ، ونصت أيضًا على أن يظل وضع الأوجادين وإريتريا تحت الحكم البريطاني ، وفي سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م تألفت لجنة من دول الحلفاء لبحث مستقبل المستعمرات الإيطالية ، على أثر توقيع معاهدة الصلح ، وظهرت المؤامرات ولعبت بريطانيا دورًا هامًا في التآمر على استقلال إريتريا ، فشجعت المسيحيين على تكوين حزب لهم ينادي بضم إريتريا إلى الحبشة رغم أنهم أقلية ، ودام الخلاف فترة مرهقة حيث ظهرت عدة اتجاهات ، كان منها مشروع تقسيم إريتريا ، وكان منها المنادة باستقلالها . وكانت تحقيقات لجنة دول الحلفاء منحازًا إلى جانب الحبشة ، نتيجة تمهيد بريطانيا واستغلال الرشوة من جانب إثيوبيا ، واتخاذ الاغتيالات والإرهاب كوسيلة لكبت أصوات المسلمين بإريتريا ، فوافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢م ، على أن تكون إريتريا وحدة ذات استقلال ذاتي في اتحاد فيدرالي مع الحبشة .

وأصدرت هيئة الأمم المتحدة مبادئ وثيقة حكم إثيوبيا لإريتريا ، وتنكر هيلاسلاسي لوثيقة الحكم الفيدرالي ، فأعلن في سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م . أن إريتريا جزء من إثيوبيا ، وضمها إلى إثيوبيا .

استخدم هيلاسلاسي أسلوبًا تعسفيًا في حكم إريتريا ، فعين المسيحيين في المناصب العامة ، وحرم المسلمين من معظم الوظائف ، وألغى الأحزاب الإريترية التي كانت في عهد إيطاليا ، وقيد حرية الكلمة ، وضرب ستارًا كثيفًا حول المسلمين ، وساد الظلم والبطش ، ومصادرة الحريات ، فكانت الثورة الإريترية طريق الشعب للخلاص من الاستبداد ،

(١) مجلة العربي محرم ١٣٩٨ هـ .
(٢) فتحي غيث : « الإسلام والحبشة » (ص٢٥٠) ، مجلة العربي محرم سنة ١٣٩٨ هـ .

الغـــلو والتطـــرف في الفـرق الإسـلامية

أ.د سعيد مراد
أستاذ الفلسفة الإسلامية كلية الآداب جامعة الزقازيق

خلافة علي بن أبي طالب وما وقع فيها من أحداث

امتدت خلافة عثمان رضي الله عنه من سنة أربع وعشرين من الهجرة ، إلى سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، والذي لا شك فيه أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، لم يقصر ، أو يفرط ، أو يظلم ، بل سار مسيرة سابقيه إلى الإمامة ، إلا أن قومًا عابوا عليه أمورًا منها :

(**ما كان** من هبته خمس أفريقية لمروان ، وفيه حق الله ورسوله ، ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من تطاوله في البنيان ، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة : دارًا لنائلة ، ودارًا لعائشة ، وغيرهما من أهله وبناته ، وبنيان مروان القصور بذي خشب (موضع بالمدينة) ، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله ، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية ، أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ، ولا تجربة لهم بالأمور ، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح ، وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ، ثم قال لهم : إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم ، وتعطيله إقامة الحد عليه ، وتأخيره ذلك عنه ، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم ، واستغنى برأيه عن رأيهم ، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة ، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم لا يغزون ولا يذبون ، وما كان من مجاوزته الحيزران إلى السوط ، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والحيزران)[1] ، وغير ذلك مما

ورد في كتب التاريخ[٢] .

وما نعتقده أن في كثير من هذه التهم تجني ، سببه غلاة الشيعة وغلاة الخوارج ، والدليل على ذلك دفاع عثمان رضي الله عنه عن نفسه ، فلما أنكر عليه الناس (صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن لكل شيء آفة ، ولكل نعمة عاهة ، وإن آفة هذا الدين ، وعاهة هذه الملة ، قوم عيابون طعانون ، يرونكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، أما والله يا معشر المهاجرين والأنصار ، لقد عبتم عليَّ أشياء ونقمتم أمورًا قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ، ولكنه وقمكم - أي : قهركم - وقمعكم ، ولم يجترئ أحد يملأ بصره منه ، ولا يشير بطرفه إليه ، أما والله لأنا أكثر من ابن الخطاب عددًا ، وأقرب ناصرًا وأجدر ... إلى أن قال لهم : أتفقدون من حقوقكم شيئًا ؟ فما لي لا أفعل في الفضل ما أريد ، فلِمَ كنت إمامًا إذًا ؟ أما والله ما عاب عليَّ من عاب منكم أمرًا أجهله ولا أتيت الذي أتيت إلا وأنا أعرفه)[٣] .

وعلى الرغم من ذلك لم تهدأ حركة المعارضة ، بل اشتدت ، وأخذت مواقف أكثر تشددًا (أكثر الناس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورائي وقد كلموني فيك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئًا تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمور عنك ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ، ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة أولى بعمل الحق منك ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير عنك ، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحمًا ، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ، ولاسبقاك إلى شيء فالله الله في نفسك ، فإنك والله ما تُبصَّرُ من عَمى ، ولا تُعَلَّمُ من جَهل ، وإن الطريق لواضح بَيِّن ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هُدِي وهَدَى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلًّا لَبَيِّن ، وإن السُّنَنَ لقائمة لها أعلام ، وإن البدعة لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله : إمام جائر ضل وأضل به ، فأمات سنة معلومة ، وأحيا بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ، ثم يرتطم في غمرة جهنم » ، وإني أحذرك الله ، وأحذرك سطوته ونعمته ، فإن عذابه أليم شديد ، وأحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يقال : يقتل في هذه الأمة إمام ، فيفتح عليها القَتْل والقتال إلى يوم القيامة وتُلَبَّس أمورها عليها ، ويتركون شيعًا لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها مَوْجًا ، ويمرحُون فيها مرحًا)[٤] .

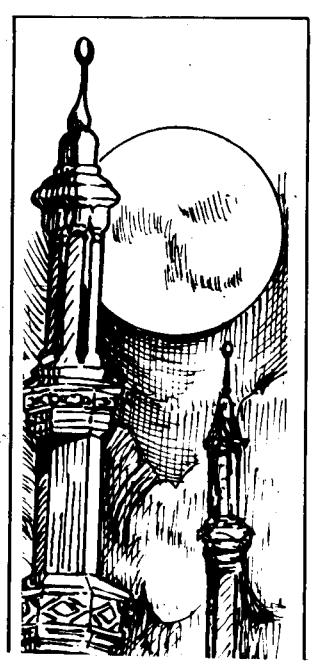

إن المتأمل في هذا النص يستخرج المعاني التالية :

١- **أن** الإمام علي بن أبي طالب قد أنزل أبا بكر وعمر وعثمان كلًّا

في منزلته وقدره .

٢- **اعتراف** الإمام علي بفضل عثمان وعلمه وورعه وتقواه .

٣- **أن** الإمام عليًا لم ينسق وراء اتهام الناس لعثمان .

٤- **أن** الإمام عليًا خاطب عثمان خطاب الناصح المذكر ، وليس خطاب المتهم المشكك .

وهذا كله يغلق الباب أمام المشككين في الخلفاء الراشدين ، ويسد عليهم منافذ الفتنة . إلا من كان في قلبه مرض .

وقد رد أمير المؤمنين عثمان على الإمام علي قائلًا : (... قد والله علمت ، ليقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عَنَّفتك ولا أسلمتك ، ولا عبتُ عليك ، ولا جئتُ منكرًا ، إني وصلت رحمًا ، وسددت خلة ، وآويت ضائعًا ووليت شبيهًا بمن كان عمر يولي)[٥] على هذا النحو من المودة والألفة كان الحوار يدور بين أصحاب رسول الله يقطر أدبًا وينشد عدلًا .

وتوالت الأحداث بعد ذلك إلى أن وقف عثمان خطيبًا يوم الجمعة فقال : (اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك : اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء ، فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : وأنه قد سَبَّل بابه لمن أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال - لا يمنع أحد من ذلك مدة)[٦] .

وهذا أيضًا يوضح حرص أمير المؤمنين عثمان على أن يؤكد الاقتداء بالسابقين عليه من الخلفاء : الخليفة الأول ، والخليفة الثاني ، وأن بابه مفتوح لم يغلق أمام أحد من المسلمين ، وعلى الرغم من ذلك اجتمعت جماعة على قتل أمير المؤمنين عثمان ، واختلف المؤرخون في أسماء هؤلاء وعددهم ، والأساليب الوحشية التي استخدمت في قتله رضوان الله عليه .

والذي لا نشك فيه أن قتلة عثمان من غلاة الشيعة وغلاة الخوارج ، وأن عامة المسلمين سخطوا على من فعل هذا بإمامهم .

يقول ابن كثير : (ولما وقع هذا الأمر العظيم الشنيع ، أسقط في أيدي الناس فأعظموه جدًّا ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا وأشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا ، فقال : تَبًّا لهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٤٩ ، ٥٠][٧] .

ماذا كان موقف علي وبنيه من قتلة عثمان ؟

عندما أعلنت زوجة عثمان عن قتله (دخل الحسن والحسين ومن كان معهما ، فوجدوا عثمان مقتولًا قد مُثِّل به فأكبوا عليه يكون وخرجوا ...

فبلغ عليًا الخبر وطلحة والزبير وسعدًا ، ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم ، فدخلوا عليه واسترجعوا ، وأكبوا عليه يبكون ويُعولون حتى غشي على عليٍّ ، ثم أفاق فقال لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ فرفع يده فضرب الحسن والحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، وخرج علي وقد سُلب عقله لا يدري ما يستقبل من أمره ، فقال طلحة : ما لك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال : يا طلحة ، يقتل أمير المؤمنين ولم نقم

عليه بينة ولا حجة ، فقال طلحة : لو دفع مروان لم يقتل . فقال علي : لو دفع مروان قتل قبل أن تقوم عليه حكومة ، فخرج علي فأتى منزله وأغلق الباب)[٨] .

هذا موقف علي وبنيه ، وواضح شدة رفضهم واستنكارهم لما حدث من مقتل أمير المؤمنين عثمان . فهل يقبل بعد ذلك ما وجه إلى علي من اتهام بمسئوليته عن دم عثمان وحمايته لقتلته .

بيعة علي بالخلافة :

اجتمع الناس بعد دفن عثمان في المسجد ، وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله ، وسقط في أيديهم .

فقام الناس ، فأتوا عليًا في داره ، فقالوا : نبايعك فمد يدك ، لابد من أمير ، فأنت أحق بها ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر ، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة ، فنجتمع وننظر في هذا الأمر فأبى أن يبايعهم ، فانصرفوا عنه ، وكلم بعضهم بعضًا فقالوا : يمضي قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ، ولا يسمعون أنه بويع لأحد بعده ، فيثور كل رجل منهم في ناحية ، فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد فارجعوا إلى علي ، فلا تتركوه حتى يبايع ،

فيسير مع قتل عثمان بيعة علي ، فيطمئن الناس ويسكنون ، فرجعوا إلى علي ، وترددوا إلى الأشتر النخعي ، فقال لعلي : ابسط يدك نبايعك أو لتعصرن عينيك عليها ثلاثة ، ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ، ويذكر له أنه ليس أحد يشبهه ، فمد يده ، فبايعه الأشتر ومن معه ، ثم بايعه طلحة مرغمًا : كما امتنع البعض عن مبايعته[٩] .

والأحداث التي مرت تؤكد عدم طلب علي للخلافة وحرصه عليها ، وقد قبلها مخافة الفساد والفتنة .

أول خطبة لأمير المؤمنين علي بعد البيعة :

كان أول خطبة خطبها بعد البيعة . قال فيها : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : (إن الله تعالى أنزل كتابًا هاديًا بَيَّنَ فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرَّم حرَمًا غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يحق لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عبادَه في عباده وبلاده ، فإنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ .... ﴾ [الأنفال : ٢٦][١٠] .

ما حدث في عصره من الفتن :

إن أعظم ما حدث من الفتن في عهد أمير المؤمنين علي :

فتنة موقعة الجمل : حيث طالبت أم المؤمنين عائشة ومن معها – طلحة والزبير – بدم عثمان ،

وقد وجدوا معارضة شديدة ، ومع ذلك دار القتال بين معسكرين : معسكر طلحة والزبير ومعهم أم المؤمنين عائشة في ثلاثة آلاف مقاتل[11] ، وأنتهت المعركة بانتصار معسكر علي بن أبي طالب الذي أكرم أم المؤمنين عائشة وردها بعد الهزيمة إلى دارها .

وما نريد أن نؤكد عليه . لنقطع الطريق على هؤلاء المشككين أن أمير المؤمنين علي اجتهد في معرفة قتلة عثمان ، فقد جاء عليٌّ إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري ، دخل عليه رجال لا أعرفهم ، إلا أن أرى وجوههم ، وكان معهم محمد بن أبي بكر ، فدعا عليٌّ محمدًا ، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد : صدقت : قد والله دخلت عليه ، فذكر لي أبي ، فقمت عنه ، وأنا تائب إلى الله تعالى ، والله ما قتلته ، ولا أمسكته ، فقالت : صدق . ممن يقتص علي إذن ؟ هل يقتل جماعة لم يقم اليقين على قتلهم لعلي فيتسع مجال الفتنة ، ويعم القتل بين المسلمين ؟! .

فتنة التحكيم :

تلك فتنة أخرى أشعل نارها الخوارج عندما أجبروا الإمام عليًا على قبول التحكيم ، ثم بعد أن تم

التحكيم رفضوا نتائجه . وأعلنوا تكفير علي ومعسكره ومعاوية وعسكره وأعلنوا وجوب قتال الفريقين .

والصحيح ما ذهب إليه الإمام أحمد بتبديع من توقف في خلافة علي ، وقال : هو أضل من حمار أهله ، وأمر بهجرانه ، ونهى عن مناكحته ، ولم يتردد الإمام أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه ، ولا شكوا في ذلك .

أما عن موقف معاوية رضي الله عنه وأتباعه ، وقد شاع فيهم سب علي رضي الله عنه ، والتحريض على قتاله . وإعلان الحرب عليه . فالصحيح الراجح في اعتقاد أهل السنة أن عليًا وأصحابه أولى بالحق وأقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه كما في « الصحيحين » عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

أما عن مشاركة الإمام علي في القتال ، فقد ذهب أهل الحديث وعامة أئمة أهل السنة : أن قعود علي عن القتال كان أفضل له ، لأن النصوص صرحت بأن القاعد فيها خير من القائم ، والبعد عنها خير من الوقوع فيها . وذلك لإخبار النبي ﷺ : « أن ترك القتال في الفتنة خير » ، و « أن الفرار من الفتن باتخاذ غنم الجبال خير من القتال فيها »[12] .

وقد نتج عن تقاتل المسلمين في معركتي الجمل وصفين ، أن اتسعت دائرة الفتنة ، وقامت الفرق المغالية من الشيعة والخوارج . بارتكاب أبشع أساليب التشكيك والتضليل وإفساد العقائد والكذب على الله وعلى رسوله .

مجمل اعتقاد أهل السنة :

اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر - رضي الله عنهما -، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكًا ... » ، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - آخر الخلفاء الراشدين المهديين .

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي - رضي الله عنهم ..

وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب . وهم كانوا مجتهدين ، إما مصيبين لهم أجران ، أو مثابين على عملهم الصالح ، مغفور لهم خطؤهم[١٣] .

وهذا نص ما نؤمن به ونعتقده وما يجب على كل المسلمين اعتقاده ، وما خالف ذلك فهو من باب الغلو والتطرف الذي قالت به الفرق الغالية والتي سنعرض لها فيما يأتي من مقالات . وسنبدأ في العدد القادم بإذن الله وتوفيقه بالشيعة . هذا وعلى الله قصد السبيل .

أ د . سعيد مراد

---

(١) ابن قتيبة « الإمامة والسياسة » ، ص ٣٥ . .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (جـ ٤ ، ص ٣٣٠ - ٣٦٤) كذلك « البداية والنهاية » (جـ ٧ ص ١٨٢) ، وما بعدها .

(٣) ابن قتيبة « الإمامة والسياسة » ، (ص ٣١ ، ٣٢) .

(٤) ابن كثير « البداية والنهاية » (جـ ٧ ، ص ١٨٤) .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٦) المرجع السابق (ص ١٨٨) .

(٧) المرجع السابق (ص ٢٠٨) .

(٨) ابن قتيبة « الإمامة والسياسة » ، (ص ٤٥) .

(٩) المرجع السابق ، (ص ٤٧) .

(١٠) ابن كثير « البداية والنهاية » (جـ ٧ ، ص ٢٤٧) .

(١١) المرجع السابق (ص ٢٥١) .

(١٢) ابن تيمية « مجموع الفتاوى » (جـ ٤ ، ص ٤٣٦ - ٤٤٤) .

(١٣) ابن تيمية « مجموع فتاوى شيخ الإسلام » (ج ٣) ، دار الرحمة ، القاهرة ، (ص ٤٠٦) .

لم تتواضع هذه البشريَّة المصطخبة الجياشة ، على شِرْعَةٍ موحدة ، أو منهاج يوضح السبل ، بل ترى كل فرد قد ركب رأسه ، وَوَلَج مُهْيَعَهُ متعرِّجًا في نزعة ثائرة صاخبة ، لم تلج باب الحكمة والأناة والتبصُّر والتدبُّر .. هنا أمة تتأهب لغزو أخرى ، وهناك شعب يئن من ظلم فادح ، وقَسْرٍ مرهقٍ ، قد استحكمت ربْقَة العُبُودية في عنقه ، فطفق يتلمَّسُ سُبُل الخلاص ، فلا يجد لمعة من أمل ، أو ظهيرًا يعينه على إدراك طلبته ونوال حريته .

نرى هذا قد كشَّر عن أنياب دامية محدودة ، يتوثَّبُ لينْقضَّ على أخيه ، وذاك يُقلِّبُ وجوه الرأي متربِّصًا دائرة السوء بمناجزه .

هذه هي الإنسانية تسير على أبواب مُرْدَاة بعيدة الغور ، تتقاذفها مؤثرات نفسيَّة ، وتقاليد مقوضة ، ونظم وعادات فاسدة ، ووراثات جائحة جارفة ... فلو التفتَّ مقلبًا بصرك فيما حواليك ، لما وقع على نفوس تدرَّعت بالحلم ، واستنارت بنور العلم ، نفوس وشجت فيها الرحمة ، أو نَبَتَ غَرْسُ العطف .. لهذا حار علماء الاجتماع في تعرُّف سرِّ هذا الداء الذي استطار شرره ، وتعاظم ضرره ، فمن قائل : إن « الرأسمالية » هي الداء الذي نغل في جرحها وتمكن من تقويض هيكلها ، ذاهبًا إلى أن خير مبضع لشطره ، ودواء لاستئصال شأفته « الاشتراكية » ولو أنهم اتَّأدُوا ، وتريثُوا ، ونظروا بعين خالصة من كل هوى ، لعلموا أن علاجهم بين أيديهم ، ودواءهم أمام ناظريهم ، فهو مركوز في وحي ربهم ، ومذخور في هدي نبيِّهم ﷺ .

فمن العجائب والعجائب جمةٌ
فرُبَّ الدواء وما إليه وُصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

إن انتماء البشرية لآدم ليربط الكون بما فيه برابطة وثيقة من أصل الوجود ، ينادي على ذلك قول الله

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠] .

وقد ثبت في أحدث النظريات العلمية التي تسير مع القرآن جنبًا إلى جنب أن أصل الإنسان واحد ، وإن ترامت به الأقطار ، واختلفت الألوان ، وتباينت اللغات ، وافترقت النظم والعادات ، فَلِمَ إذًا هذا التدابر ، وذاك التناحر والتنافر ؟ ولم هذه الغواية المتأثلة في النفوس ، وتلك الضلالة المتمكنة في الأفئدة والقلوب . ودواء هذا الداء دَانٍ منا قريب ؟!

وإذا كان لا بد لبني الإنسانية من الاجتماع على خير ، فاعلم – قيض الله لك الرشد – أن هناك شرعة بينة محكمة ، ومنهاجًا مشرفًا مضيئًا ، معبَّدًا منقادًا ، يوحِّد صفوفها ، ويؤلف بين قلوبها ، كما كان في عصر أقرب مثلًا ، وأدنى مشابة من عصرنا هذا ، حينما كانت دولتا الفرس والرومان تسومان العالم ظلمًا ، وترهقانه حيفًا .

فمن شرائع فاسدة استغلها الأشراف لمصالحهم ، وتكميل دواعي سرفهم ، وتفنكهم ، إلى تدهور خلقي شامل ، وفساد عادات مستحكم ، وانتشار ألفة مُحْصد ، وتصدُّع وحدة ترجُف جوانبها ، ووهى شُعَبَها .

لولا أن أشرقت تلك البعثة في بطن غير ذي زرع ، فأضاءت لها أرجاء العالم ، واقتطفت من ثمار هداية تلك الروح الملهمة رشدًا وعزة وسعادة ، فتوحدت جهودها ، وتضافرت على المجد أسس عزتها .

ولئن كان يقول بعض علماء النفس : إذا أردت أن تصبغ العالم بصبغة دينية ، أو علمية ، أو سياسية ، وتجعله يدين لفكرة واحدة ، ويسعى لهدف موحَّد ، فما عليك إلا أن تغرس تلك الفكرة في نفوس النشئ الحديث ، فلن تمضي حقبة إلا وقد نما ذلك الزرع واستحصد ، وآتى أكله ضعفين ، كل حين بإذن ربه .

وما هي تلك الفكرة النبيلة الغاية ، الشريفة المقصد ، التي تنتشر بها ألوية المحبة خفاقة ؟ وما هو ذلك الهدف السامي ، الذي إذا ولينا وجوهنا شطره ، وعملنا على تحقيقه ، بدَّل الضعف قوة ، والذلة عزَّة ، والفقر غنى ، والتفرقة وحدة وألفة ، والجبن شجاعة ، والخمول ذكاء ونباهة ، والكذب صدقًا ، والاستكانة إباء ، والانحطاط رفعة ، والبغض محبة ، ونكث العهد وفاء ، والأثرة تضحية لصالح المجموع ؟

تلك هي فكرة العودة إلى الينابيع الصافية ، والموارد الشافية ، والأصول السامقة ، والصروح الشامخة ، وذلك الهدف هو المثل الأعلى ، الذي يجب أن نوغل في الإسراع إليه ، سيرًا في تلك السنة ، وتخلقًا بأخلاق تلك الشخصية الكاملة ، المملوءة حياتها بمكارم الفعال ، وجلائل الأعمال ، والمترعة بالمثل العملية العليا ، فسجلّ تاريخه : حياة جديرة ، بأن تكون شرعة البشر قاطبة ، وحقيقة بأن تصبح مثلها الأعلى ، إذ اصطفى الله محمدًا من سائر خلقه ، فهو أعلى رسله درجًا ، وأكملهم شريعة ، وأشرفهم عنصرًا ، جمله الله بحميد الشمائل ، وحلاه بأكمل الفضائل ، فرفع للفضيلة منارًا ، وشبَّ لها في أعلى يفاعٍ نارًا ؛ إذْ جاء بالسمحة البيضاء ، التي ليْلها كنهارها ، فامحى بها الليل ، وأشرق بها الضياء ، ولئن أرعد المبطلون في ذلك وأبرقُوا .

فما كان إلا كما قال الله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٣] سمحة بيضاء ، فيها توحيد للثقافة ، وتقريب للفكر البشري ، ورفع للمستوى الثقافي والاجتماعي .

فإذا كان لا بد لنا من لَمِّ شَعْثٍ ، وَرَأْبِ صَدْعٍ ، وتوحيد جبهةٍ ، وجمع كلمةٍ ، وخلْق ألْفةٍ ، وسيْر حثيث ، حتى نتبوَّأ صهْوَة المجد ، ونَقْتَعِد غاربَ السُّؤدُد ، ونعيد مجدًا دثر ، وعزًّا عفى وانطمسَ فيه الأثر ، ونلحق بالأمم التي أذلجت ونمنا ، وتقدمت وتقهقرنا – فلا نِدْحة عن

ترسُّم سيرة هذا المصلح الأكبر ، والسير على سننه ، والتمسك بشريعته التي تتفق وكل جيل ، وتصلح لكل عصر ، فإذا فعلنا ذلك أصبحنا أمة قوية عتيدة منظمة مرهوبة ، واثقة من حياة ماجدة ، ممكَّنًا لنا في الأرض كما مكَّن الله لآبائنا من قبلنا . فنشر هذه الفضائل أمانة في عنق حاملها ، وجب أداؤها ، إن تلك الفضائل ، وهذه الشمائل ، هي الدستور العام لجميع مناحي العمل في الحياة ، وهناك يُتم الله نوره ، ولو كره الكافرون والعلمانيون .

إننا أم رشفة من وابل مدرار ، وقطرة من زواخر البحار ؛ إذ كل إفراط في تصوير فضائله تقصير ، وكل إكثار في الكشف عن بدائعه ﷺ - اختصار ، فهو خير البشرية طفلًا ، وأنجبها كهلًا ، أطهر المطهرين شيمة ، وأمطر المستمطرين ديمة ، وهو خير أسوة للفرد في قبيلته ، والزوج مع زوجه ، والأب مع ولده ، والمربي مع تلميذه ، والواعظ مع مستمعيه ، والجندي في حومة الوغى ، والقائد في تدبيره ، والمتشرع في أحكام شريعته ، والقاضي في قضائه ، والسياسي في حكومته ، والملك في رعيته ، والمسالم لأوليائه ، والمحارب لأعدائه ، والعابد في محرابه ، والزاهد في قناعته ، كل أولئك يجدون من حياته العملية مُثلًا يحتذونها ، وروحًا يقوون بها على مزاولة أعمالهم ، وإمامًا يسيرون عليه في تحقيق مآربهم ، ومردًّا يرجعون إليه عند حيرتهم ، وإن اختلفت مشاربهم ، وتباينت ألوانهم .

اختص الله نبيه محمدًا ﷺ - بالمحامد الكثيرة ، والمآثر الأثيرة ، وأظهر على يديه الآيات ، وأقام له الألوية والرايات ، وفضله على خاصته وأحبابه ، وأثنى عليه في غير موضع من كتابه ، ونصره بالرعب مسيرة شهر ، وأبقى معجزته ما بقي الدهر ، وكلأه بعنايته ، وشمله برعايته ، وأيده بالبراعة واللَّسَنْ ، وركَّب فيه كل خلق حسن ، وآتاه جوامع الكلم ، وحضَّ على الاقتداء بهديه ، وأمره بامتثال أمره ونهيه ، وأجرى جواري الخير على يديه ، وأوحى إليه وناجاه ، وأراه آياته الكبرى ، وكرَّمه في الدنيا والأخرى ، وأسبغ عليه من القبول أحسن المطارف ، وأولاه كثيرًا من الخصائص ، وسوَّاه فعدَّله ، وأدَّبه فأحسن تأديبه ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وأرشده إلى حل كل مشكل ومبهم ، وحمله على الصيانة والعفاف ، وأقام به ميزان العدل والإنصاف ، وأفرده بإبداع سره المصون ، وعضَّده بوحي كريم في كتاب مكنون ، ومنح جانبه العزيز لينًا ، وذاته الكريمة لطفًا ، وفتح به أبصارًا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، ولم يبعث نبيًّا إلا ذكر له نعته ومسلكه ، وأخذ عليه الميثاق في الإيمان به ونصره إن أدركه ، ولم يعط أحدًا من الأنبياء فضيلة إلا أعطاه مثلها وزيادة ، نزَّه لسانه عن النطق بهواه ، وفؤاده عن الكذب فيما رآه ، وجنبه الزيغ وزكاه ، وعصمه من الأغراض ؛ وأناله من نيل الكرامة غاية السول ، وقرن طاعته بطاعته في قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ، وسماه في كتابه نورًا ، بقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] . وشرح له بالرسالة صدرًا ، ورفع له بذكره معه في الشهادتين ذكرًا ، وأيده بأظهر البراهين، وأبهر المعجزات ، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٤] . وطهره من الأقذار والأدناس ودلَّ على عصمته في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وأحسن مخاطبته في سورة ن ووعده فيها بأجر غير ممنون ، وأثنى عليه الثناء المستطاب العظيم بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

ونحن إذا تصفحنا سيرة العظماء الذين شاد بذكرهم التاريخ ، وجدنا أن محمدًا عليه الصلاة والسلام أرفعهم ذكرًا وأبقاهم أثرًا ، فما عهد التاريخ رجلًا من عظمائه قد أهاب بأمة كالعرب ذات بأس وصراحة ، وحميَّة وإباء ، وذات خيال وتصور ، يدعوها أن تخلع

نفسها مما هي فيه ، وأن تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقًّا ، وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها ، وهم لا يرون من أمره ذلك إلا قلة وهوانًا واستخفافًا ، وإن كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق ، وصفاء الذمة ، وطهارة الضمير . ويعرفون أنه لا يريد ملكًا ، ولا يبغي شيئًا من عرض الدنيا ، بل قالوا : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت : ٥] .

ثم مع هذا كله لا يُداخلهم بالنفاق ، ولا يتألفهم على باطلهم ، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم دهاء ومخاتلة ، كما يصنع دهاة السياسة ، وقادة الأمم ، وكما صنع نابليون في مصر إذْ تظاهر بحب الإسلام . وكما قال : (لو كنت أحكم شعبًا يهوديًّا لأعدت هيكل سليمان عليه السلام) .

أما صاحب الشريعة الإسلامية – ﷺ – فلم يفعل شيئًا من ذلك : قد عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين ، وهو في قلة وحاجة إلى رجل واحد ، يزيد في عدد من معه ؛ فأبى وقال : « لا أنتصر بمشرك » ومع هذا فقد اجتمع له ما أراد ، وأتته الأمة العربية عن يد وهي صاغرة للحق ، وبذلت له نصرها بعد التخاذل عنه ، وتعطفت عليه بقلوبها الجامحة ، وهو الراغب عن سنتهم ، والمسفِّه لأحلامهم ، والطاعن على شرائعهم .

إن نظرة بإمعان في التاريخ تدلنا على أن العظماء يظهرون بين أقوامهم مماشاة لتدرجهم ورقيّهم : فإن كان رقيهم في باب الحقائق الفكرية ، ظهر من بينهم حكيم يضيء لهم السَّبيل بثاقب فكره ، وسديد رأيه ؛ وإن كان رقيهم في باب الفتح وبسط الملك ، ظهر من بينهم فاتح عظيم ، يقودُهم إلى الأقطار المتاخمة والنائية .

وكذلك القول في العلماء والشعراء والخطباء وغيرهم من عظماء الرجال الذين يترجمون عن وجهة أقوامهم ، فكل عظيم من هؤلاء هو روحُ عصره ، وجهوره جار على سنة الله في النشوء والارتقاء – بَيْدَ أن محمدًا ﷺ كما لم يكن جاريًا على هذه السنة ، بل جاء والعرب قد نزلوا إلى الهاوية في الانحلال الاجتماعي ، بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم : فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ، ومبادئ السياسة ، والحياة الاجتماعية ، ولم يكن لهم فنٌّ يذكر ، أو صناعة تنشر ، ولم يكونوا يعرفون شيئًا من العلاقات الدولية . وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها ، تتحفَّز لشن الغارة على جارتها ، فلم يكن من المألوف أو المعقول أن بيئة كهذه البيئة تتمخض عن هذا العظيم الذي اجتمع له ما لم يجتمع لمصلح من قبله ؛ لأنه كَوَّن أمة ، وأسس دولة ، وأقام دينًا . أمور ثلاثة لم تجتمع لأحد من قبله ولا من بعده ، ولا يُعدُّ ظهور بعض الأفراد والنابهين ، أمثال أكثم ابن صيفي دليلًا على صحة البيئة العربية لإخراج أكبر المصلحين . الحق أن العناية الإلهية القادرة التي تخلق الحُيَّات في ظلمات البحار ، هي التي أبرزت هذا الإنسان العظيم ، وأمدته بعنايتها ، وجعلته نورًا ينسخ الظلمات جميعها ، فيضيء أطراف الأرضين .

العظمة ليست وقفًا على ما يتم على يد صاحبها من المعجزات أو العجائب ، وليست وقفًا على ما هو عليه من الفصاحة والقدرة على استنباط النظريات ، فكل هذه مظاهر لا تلبث أن تزول ؛ إنما العظمة الحقيقية هي الشخصية القوية الثابتة ، وهي التي تأتي بالعجائب ، وتأخذ بألباب المحتفين بصاحبها ، وتملك مشاعر الذين يجيئون من بعده ، وينظرون في سيرته .

الشخصية الكاملة هي التي تلقي في قلوب أهل جيلها احترامًا وهيبة لصاحبها ، ورغبة فيه . وتحملهم على محاكاته ، وتحبب إليهم طاعته ، ثم تصبغهم بصبغته ، وتخلق في نفوسهم أساسًا جديدًا لتقبل عقيدته وآراءه ويتصل تأثيرها هذا بقلوب الأجيال القادمة ، فتظل عظمته خالدة .

محكمة المنصورة تحكم بحق المرأة في إسدال النقاب أو الخمار على وجهها .

في جلسة عاصفة بمحكمة القضاء الإداري بالمنصورة أنصف القضاء المصري الطالبات المنتقبات ، وقال : إن الإسلام هو دين الدولة ، والأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق ، وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية ، وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد مع تأكيد هذا الطابع ، وتنميته في العلاقات داخل المجتمع المصري برعاية الناشئة والشباب بأن يتم توفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم ، فضلًا عن التزام المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها ، والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة ، وغرسها في نفوس الشباب ، والتحلي بالأخلاق الحميدة ، والعمل على ذيوعها وانتشارها ، وذلك في إطار أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء ، وتلتزم الدولة باتباع هذه المبادئ والتمكين لها لتكون نبراسًا هاديًا للفضائل والمثل العليا ، ليكون لذلك مردوده الحسن على المجتمع المصري .

وذكر الأستاذ / المستشار رئيس المحكمة : أن المواطنين أمام القانون سواء ، وحريتهم الشخصية والعقائدية مكفولة لا يجوز الاعتداء عليها ، ولا الانتقاص منها .

وقال المستشار رئيس المحكمة مشيدًا بحسن خلق الطالبات المنتقبات وسمعتهن الطيبة : (ولم تكشف الأوراق أو الوقائع عن دلائل توصم سلوك المدعيات بالاعوجاج أو سوء الخلق أو الإخلال بالأمن داخل الحرم الجامعي ، وإنما المبين من ظاهر الأرواق أن منعهن إنما جاء بسبب ارتدائهن النقاب) .

وقال المستشار رئيس المحكمة حول النقاب وارتدائه :

(ومن حيث أن إسدال المرأة النقاب أو الخمار على وجهها إخفاء له عن تلصص الأعين إن لم يكن واجبًا شرعيًّا في رأي ، فإنه كذلك (أي : واجب) في رأي آخر ، وهو في جميع الأحوال غير محظور شرعًا والدعوة الإصلاحية إن لم تزك النقاب ، فإن ظروفًا خاصة قد تدعو إليه صدودًا عن الفتنة ، فضلًا عن أن القانون لا يحرمه ولا يجرمه والعرف والعادة لا ينكرانه) .

وقال المستشار رئيس المحكمة :

فلهذه الأسباب حكمت المحكمة بوقف تنفيذ قرار الجامعة المدَّعى عليها فيما تضمنه من منع دخول المدعيات الكليات أو الإدارات اللاتي يعملن بهن ، مع ما ترتب على ذلك من آثار ، وتنفيذ الحكم بمسودته دون إعلان ، وألزمنا الجامعة مصروفات هذا الطلب !

وكان رئيس جامعة المنصورة قد أصدر قرارًا يمنع الطالبات المنتقبات وعددهن ١١٥ طالبة من دخول الجامعة إلا بعد خلع النقاب ، فوكلن الأستاذ / صالح عبد الجواد المحامي بفرع أنصار السنة بالمنصورة ، فقام برفع الدعوى أمام محكمة القضاء الإداري والتي حكمت بالحكم سالف الذكر برئاسة المستشار / كامل محمد خليفة رئيس المحكمة ، وعضوية كلًا من المستشار / محمد سمير محروس ، والمستشار / سامي شوقي وحضور المستشار محمد موافي مفوض الدولة ، وذلك بتاريخ ١٩٩٥/١١/١١ دعوى رقم ١٠٩ / ١٨ ق

و ١٩٩٥/١٢/١٦ دعوى رقم ٥١٢ / ١٨ ق

مجلة الجندي المسلم

صدر العدد (٨٠) من [مجلة الجندي المسلم] ، وهي مجلة إسلامية ثقافية عسكرية فصلية تصدرها إدارة الشئون الدينية في وزارة الدفاع والطيران منذ العام [١٣٩٢ هـ]

وقد صدر هذا العدد بثوب جديد وإخراج متميز ، يعتبر تطورًا ملحوظًا في مسيرة هذه المجلة ، ويحتوي هذا العدد على كثير من المواضيع الإسلامية والتربوية والعسكرية المهمة ومنها :

البث المباشر وخطره على الأسرة والمجتمع ، وكلمة لرئيس التحرير عن مؤتمر بكين للمرأة ، ومقال عن الديانة الهندوسية ، بالإضافة إلى الفتاوى الشرعية ، والدراسات العسكرية الإسلامية ، والزاوية الأدبية ، وموضوع طبي عن مرض الإيدز ، وغير ذلك من المواضيع الشيقة والمفيدة ، وهي مجلة جديرة بالاهتمام والمتابعة .